

ديوانُ
صلاح عبد الصبور

دار العودة - بيروت

حقوق الطبع محفوظة لدار العودة

الطبعة الأولى

١٩٧٢

الناس في بلادى

رحلة في الليل

١ - بحر الحداد

الليلُ يا صديقتي يَنْفُضُنِي بلا ضمير
ويطلقُ الظنون في فراشي الصغير
ويثقلُ الفؤادَ بالسوادُ

ورحلة الضياعِ في بحر الحداد
فحين يقبلُ المساءُ ، يقفرُ الطريقُ ، والظلامُ محنةُ الغريب
يهبُ ثلثةُ الرفاقِ ، 'فض' مجلسُ السمرِ
« إلى اللقاءِ » - وافترقنا - « نلتقي مساءً غدً »
« الرخُ ماتَ - فاحترس . الشاهُ ماتَ ! »
« لم يُنجِهِ التدبيرُ ، إني لاعبٌ خطيرٌ »

« إلى اللقاء - وافترقنا - « نلتقي مساء غد »

أعودُ يا صديقتي لمنزلي الصغيرُ

وفي فراشي الظنونُ ، لم تدع جفني ينام

ما زالَ في عرض الطريق تائهونَ يظلمونُ

ثلاثةُ أصواتهم تنداحُ في دوامةِ السكونُ

كأنهم يبكونُ

- « لا شيءَ في الدنيا جميلٌ كالنساءِ في الشتاءِ »

- « الخمرُ تهتكُ السرارُ »

- « وتفضحُ الإزارُ »

- « والشعارَ ... والدثارُ »

ويضحكون ضحكةً بلا تخومُ

ويقفرون الطريقُ من ثغاءِ هؤلاءُ

٢ - أغنية صغيرة

إليكِ يا صديقتي أغنيةً صغيرةً

عن طائرٍ صغيرٍ

في عشه واحدهُ الزَغيبُ
والفههُ الحبيبُ
يكفيهما من الشرابِ حسوتا منقار
ومن بيادرِ الغلالِ حبتانُ
وفي ظلامِ الليلِ يعقدُ الجناحُ صرّةً من الحنانِ
على وحيدِهِ الزغيبِ
ذات مساءً ، حطّ من عالي السماءِ أُجدلُ منهومُ
ليشربَ الدماء
ويملك الأشلاءَ والذِماء
وحرار طائري الصغيرُ برهةً ، ثم انتفض ...
معذرةً ، صديقتي ... حكايتي حزينه الختامُ
لأنني حزين ...

٣ - نزهة الجبل

الطارقُ المجهولُ ، يا صديقتي مُلثَّمٌ شريرُ
عيناه خنجران مسقيان بالسموم

والوجهُ من تحت اللثامِ وجهُ يوم
 لكنَّ صوتَه الأَجشُّ يشدخُ المساءُ
 « إلى المصيرِ » ...! والمصيرُ هُوَّةٌ تُرَوِّعُ الظُّنونُ
 وفي لقائنا الأخير يا صديقتي وعدتيني بنزهةٍ على الجبل
 أريدُ أن أعيشَ كي أشمُّ نَفحةَ الجبل
 لكن هذا الطارقُ الشريرُ فوق بابي الصغيرِ
 قد مدَّ من أكتافِهِ الغلاظِ جذعَ نخلَةٍ عقيمِ
 وموعدي المصيرُ ... والمصيرُ هُوَّةٌ ترَوِّعُ الظنون

٤ - السندباد

في آخر المساءِ يَمْتَلِي الوسادُ بالورقِ
 كوجه فأرٍ ميتٍ طلاسُمُ الخطوطِ
 وينضجُ الجبينُ بالعرقِ
 ويلتوي الدخانُ أخطبوطِ
 في آخرِ المساءِ عادَ السندباد
 ليرسِي السَفِينِ

وفي الصباحِ يَعْقِدُ النَّدْمَانُ مجلسَ النَّدَمِ
ليسمعوا حكايةَ الضياعِ في بحرِ العدمِ

السندباد :

(لا تحك للرفيقِ عن مخاطرِ الطريقِ)
(إن قلتَ للصاحي انتشيتُ قالَ : كيفُ ؟)
(السندبادُ كالإعصارِ إن يهدأ يَمُتُ)

الندامي :

هذا محالٌ سندبادُ أن نجوبَ في البلادِ !
إننا هُنا نضاجِعُ النساءِ
ونفرسُ الكُرُومِ
ونعصرُ النبيذَ للشتاءِ
ونقرأُ (الكتابَ) في الصباحِ والمساءِ
وحيثما تعود نعدو نحو مجلسِ النَّدَمِ
تحكي لنا حكايةَ الضياعِ في بحرِ العدمِ

٥ - الميلاد الثاني

في الفجر يا صديقتي 'تولد' نفسي من جديد
كل صباح أحتفي بعيدها السعيد
ما زلت 'حيًا' ! فرحتي ! ما زلت 'والكلام' والسباب
والسُعال
وشاطيء البحار ما يزال 'يقذف' الأصداف واللال
والسحب ما تزال
تسح ، والمخاض 'يلجئ' النساء للوساد
ويلعب الأطفال فوق اسطح البيوت
لعبة العريس والعروس والتبات والنبات
والورد في خد البنات
وعند شط النهر عاشقان سارحان
لله ما أحلى عيون العاشقين حين يبسمون
ويقسمون
بجرمة الشُّجون
وبالليالي المثقلات ، وانتفاضة الحنين

وبالسوادِ في العيونُ
العهدُ لن يهون
صديقتي ، عمي صباحا ، هل ذكرتُ نزهةَ الجبل

٦ - إلى الأبد

« الرخ مات - لا تُرَعْ - فالشاه ما يزال »
والشاهُ بالبيادقِ التأمُ
« إلى اللقاء » -
وافترقنا -

« نلتقي مساء غد »

لنكمل النيزالَ فوق رقعة السوادِ والبياض
وبعد غد !
وبعد غد !
سنلتقي ...
إلى الأبد ...

هجم التتار

هجم التتار
ورَمَوْا مَدِينَتَنَا العَرِيقَةَ بِالدمارِ
رَجَعْتَ كَتَائِبُنَا مَمزُوقَةً ، وَقَدْ حَمِيَ النَّهَارُ
الرَّايَةُ السُّودَاءُ ، وَالجُرْحَى ، وَقَافِلَةٌ مَوَاتُ
وَالطَّبْلَةُ الجُوفَاءُ ، وَالخَطُّو الذَّلِيلُ بِلا التَّفَاتِ
وَأَكْفَ جَنْدِيٍّ تَدَقُّ عَلَى الخَشَبِ
لَحْنَ السَّغَبِ
والبوقُ يَنْسِلُ فِي انبِهارِ
وَالأَرْضُ حَارِقَةٌ ، كَأَنَّ النَّارَ فِي قُرْصِ قَدَارِ
وَالأَفُقُ مَخْتَنِقُ الغَبَارِ

وهناك مركبة "محطمة" تدورُ على الطريق
والخيلُ تنظرُ في انكسار
الأنفُ يَهْمِلُ في انكسار
العينُ تدمعُ في انكسار
والأذنُ يلسعُها الغبار
والجندُ أيديهم مدلاةٌ إلى قربِ القدمِ
قصانهمُ مَحْنِيَّةٌ مصبوغةٌ بِنِشَارِ دم
والأمهاتُ هربنَ خلفَ الرَبْوَةِ الدَكْناءِ من هول الحريقِ
أو هول انقاضِ الشقوقِ
أو نظرة التتسرِ المحملقةِ الكريهة في الوجوه
أو كفتهمُ تمتد نحو اللحم في نهم كريبه
زحف الدمارُ والانكسارُ
وابلديتي ! هجم التتار

في معزل الأسرى البعيدِ
الليلُ ، والأسلاكُ ، والحرسُ المدججُ بالحديد

والظلمة 'البلاء' ، والجرحى ، ورائحة 'الصيد

ومزاح 'مخمورين من جند التتار'

يتلمظون الانتصار

ونهاية السفر السعيد

وأنا اعتنقت هزيمتي ، ورميت 'رجلي في الرمال'

وذكرت - يا أمي - أماسينا المنعمة الطوال

وبكيت 'ملء العين - يا أمي - لذكرى كالنسيم'

وغنائم الكلم القديم'

أمي ...

وأنت بسفح ذاك التل بين الهاربين

والليل يعقد 'للصغار الرعب' من تحت الجفون

والجوع 'والثوب' الشفيف

والصم والسيملاة 'والظلماء' 'تقعي في الكهوف

أترى بكيت لأن 'قربتنا حطام' ..؟

ولأن أياماً أثيرات تولت 'لن تعود' ؟

أماه ! إننا لن نبيد'

هذا بسمعي صاحبٌ من أهلِ شارعنا العتيد
وسعالٌ مهزومٍ قعيدٌ

وفمٌ يهيمٌ من بعيدٍ بالوعيدِ

وأنا - وكلُّ رفاقينا - يا أمُّ حين ذَوَى النهار

بالحدِّ أقسَمنا ، سنهتفُ في الضحى بدمِ التتار
أماه ! قولي للصغار :

أيا صغار ...

سنجوسُ بين بيوتنا الدكَناءِ إن طَلَعَ النهارُ

ونشيدُ ما هدم التتار ...

لشئق زهران

... وثوى في جنبه الأرض الضياء
ومشى الحزن إلى الأكواخ ، تنين له ألف ذراع
كل دهليز ذراع
من أذان الظهر حتى الليل ... يا الله
في نصف نهار
كل هذي المحن الصماء في نصف نهار
مذ تدلى رأس زهران الوديع

كان زهران غلاما
أمه سمراء ، والأب مولد

وبعينيهِ وسامه
وعلى الصّدغِ حمامه
وعلى الزندِ أبو زيدٍ سلامه
ممسكاً سيفاً ، وتحتَ الوشمِ نَبشٌ كالكتابه
اسمُ قريه
« دنشواي »
شبّ زهرانُ قويتاً
ونقياً
بطأ الأرض خفيفاً
وأليفاً

كان ضحاً كالولوعا بالغناء
وسماع الشعر في ليل الشتاء
ونمت في قلبِ زهران ، زهيره
ساقها خضراءُ من ماءِ الحياه
تاجها أحمر كالنارِ التي تصنعُ قبله
حينما مر بظهر السوق يوماً

ذات يوم ...

مر زهران بظهرِ السوق يوما
واشترى شالا مُنَمَّئِمًا
ومشى يَخْتالُ عجباً ، مثلَ تَرْكِيٍّ مُعَمَّمٍ
وَيُحِيلُ الطَّرْفَ ... ما أحلى الشبابُ
عندما يصنع حبا
عندما يَجْهَدُ أن يصطادَ قلبا

كان يا ما كان أن زُفَّتْ لزهرا ن جميلة
كان يا ما كان أن أنجب زهران غلاما ... وغلاما
كان يا ما كان أن مَرَّتْ ليا ليه الطويلة
ونمت في قلبِ زهرانِ سُجَيْرَه
ساقها سوداءُ من طين الحياه
فرعُها أحمرُ كالنارِ التي تُحْرَقُ حَقْلًا
عندما مَرَّ بظهرِ السوقِ يوما

ذات يوم

مر زهران بظهر السوق يوما
ورأى النارَ التي 'تُحرقُ' حقلا
ورأى النارَ التي تصرع طفلا

كان زهران صديقا للحياه

ورأى النيرانَ تجتاح الحياه

مد زهران إلى الأنجم كفتا

ودعا يسألُ 'لطفًا

ربما ... سَوْزَةَ حِقْدِ فِي الدَّمَاءِ

ربما استَعْدَى عَلَى النَّارِ السَّمَاءِ

وضع النِطْعَ عَلَى السَّكَّةِ وَالغِيلَانَ جَاءُوا

وَأَتَى السِّيَافُ مَسْرُورٌ وَأَعْدَاءُ الْحَيَاءِ

صَنَعُوا الْمَوْتَ لِأَحْبَابِ الْحَيَاءِ

وَتَدَلَّى رَأْسُ زَهْرَانَ الْوَدِيعُ

قريتي من يومها لم تأتدِمْ إلا الدموعُ
قريتي من يومها تأوي إلى الرُكنِ الصديعِ
قريتي من يومها تخشى الحياهُ
كان زهرانُ صديقاً للحياهِ
مات زهرانُ وعيناه حياهِ
فلماذا قريتي تخشى الحياهِ...؟

... وأتى نعي أبي هذا الصباح
نام في الميدان مشجوجَ الجبين
حولَه الذؤبان تعوي والرياحُ
ورفاقُ قبْلوة خاشعين
وبأقدام تجرّ الأحذية
وتدق الأرض في وقعٍ منفرّ
طرقوا الباب علينا
وأتى نعي أبي

كان فجرأ موغلا في وحشته

مطرٌ يهيم ، وبردٌ ، وضبابٌ
ورعودٌ قاصفهٌ

قطعةٌ تصرخُ من هولِ المطرِ
وكلابٌ تتعاوى

مطرٌ يهيم ، وبردٌ ، وضبابٌ
وأتينا بوعاءٍ حجري
وملأناه تراباً وخشباً

وجلسنا

نأكلُ الخبزَ المُقدَّدَ

وضحكنا لفُكاهه

قالها جدي العجوزُ

وتسلَّل

من ضياءِ الشمسِ موعداً

فتفاءلنا ، وحييننا الصباح

وبأقدامِ تجرُّ الأحذية

وتدقُّ الأرضُ في وقعِ مُنفرٍ

طرقوا الباب علينا

وأتى نعي أبي

حين ودعت أبي

من زمان

كان دمني غائراً في مقلتي

وشفاهي تنطق الحرف الصغير

يا أبي !

مرة يخنقه الدمع ، ويأبى

أن يذوب

في فراغِ العدمِ

ثم جمعتُ حياتي

وهي بعضٌ من أبي

ما الذي يقصيك عني .. ؟

ما الذي يدعوك للبحر الكبير ؟

ما الذي يدعوك للدرب المضلل ؟

لم تجفو مضجعك ؟

لم يبدو الموتُ في منزلنا
قدراً لا يخطيءُ
وأبي يثني ذراعَه
كهرقل
ثم يعلو بي إلى جبهته
ويناعي
تارة رأسي وطوراً منكبي
ويصرّ البابُ في صوتِ كئيبٍ
ومضى عني ، وراحتْ خطوته
في السكونِ ...
ونرى طلعتَه بين الضباب
وأرى الموتَ ، فأعوي
يا أبي !
وأتى نعيُ أبي هذا الصباح
نام في الميدان مشجوج الجبين

جُنْتُ الرِّيحُ عَلَى نَافِذِي
فِي مَسَائِي ، فَتَذَكَّرْتُ أَبِي
وَشَكَّتْ أُمِّيَ مِنْ عَلَّتِهَا
ذَاتَ فَجْرِ ، فَتَذَكَّرْتُ أَبِي
عَقَرَ الْكَلْبُ أَخِي ...
وَهُوَ فِي الْحَقْلِ يَقُودُ الْمَاشِيَةَ
فَبَكِينَا

حِينَ نَادَى ...

يَا أَبِي !

إِنَّا الْأَغْرَابُ فِي الْقَفْرِ الْكَبِيرِ
إِنَّا ضِيقُنَا وَضَاقَتُ رُوحِنَا
الْقَطِيعَ .. !

غَابَ رَاعِيهِ ، وَطَالَتْ رِحْلَتُهُ
وَهُوَ فِي بَدَاءِ لَظْلٍ بِهَا
يَا لِأَقْدَامِ تَجْرُ الْأَحْذِيَّةِ
وَتَدُقُّ الْأَرْضَ فِي وَقْعٍ مَنفَرٍ

يا لأقدامٍ تذيعُ النَّبَأَ
نبأَ المصروعِ في صخرِ الجبلِ
إنه مات !
إنه مات وجفَّتْ رِحْلَتُهُ
إنه مات وواراهُ الثرى
حيثُ مات
حين غابَ لهيبُ المدفأهِ
كلُّ شيءٍ كانَ يحكي النَّبَأَ
قطةٌ تصرخُ من هولِ المطرِ
وكلابٌ تتعاوى
ورعودُ
كان فجرأُ موغلاً في وَحْشَتِهِ
وأتى نعي أبي
نام في الميدان مشجوج الجبين . .

الناس في بلادهم

الناس في بلادهم جارحون كالصقور
غناؤهم كرجفة الشتاء في ذؤابة المطر
وضحكهم يئز كاللهيب في الحطب
خطأهمو تريد أن تسوخ في الشراب
ويقتلون ، يسرقون ، يشربون ، يجشأون
لكنهم بشر
وطيبون حين يملكون قبضتي نقود
ومؤمنون بالقدر

وعند باب قريتي يجلس عمي « مصطفى »

وهو يحب المصطفى
 وهو يقضي ساعةً بين الأصيلِ والمساءِ
 وحولهُ الرجالُ واجنون
 يحكي لهم حكايةً ... تجرُّبةَ الحياه
 حكايةً تثير في النفوسَ لوعةَ العدمِ
 تجعملُ الرجالَ ينشجون
 ويطرقون
 يحدقون في السكونِ
 في لجةِ الرعبِ العميقِ ، والفراغِ ، والسكونِ
 « ما غايةُ الإنسانِ من أتعابهِ ، ما غايةُ الحياهِ ؟
 يا أيها الإله !!
 الشمسُ مجتلاكٌ ، والهلalُ مفرقَ الجبينِ
 وهذه الجبالُ الراسياتُ عرشكَ المكينِ
 وأنتَ نافذُ القضاءِ أيُّها الإله
 بنى فلانٌ ، واعتلى ، وشيدَ القلاعَ
 وأربعونَ غرفةً قد ملئتُ بالذهبِ اللامعِ

وفي مساءٍ واهنِ الأصداءِ جاءهُ عزُربيلُ
يحمل بين اصبعَيْهِ دفتراً صغيراً
ومدَّ عزربيلُ عصاهُ
بسرّ حرّفيّ « كُنْ » ، بسر لفظٍ « كان »
وفي الجحيمِ دُخْرِجَتِ رُوحُ فلانِ
(يا أيها الإله ...
كَمْ أنت قاسٍ موحشٍ يا أيها الإله)

بالأمس زرت قريقتي ، قد مات عمي مصطفى
ووسدوه في الترابِ
لم يبتنِ القلاعَ (كانَ كوخُهُ من اللَّيْنِ)
وسارَ خلفَ نَعْمِهِ القَدِيمِ
من يملكون مثلهُ جلابابَ كَتانٍ قديمِ
لم يذكروا الإلهَ أو عزربيلَ أو حروفَ (كان)
فالعامُ عامُ جوعِ
وعند بابِ القبرِ قامَ صاحبي خليل

حفيدُ عمي مصطفى
و حينَ مَدَّ للسماءِ زِنْدَهَ المُفتُولِ
ما جَتَ على عينيهِ نَظرةُ احتقارِ
فالعامُ عامُ جوعٍ ...

السلام

ويظل يسأل ، والحياة تموت في عينيه ، إنسان يموت
وعلى محياه القسم سماحة الحزن الصموت
والبسة البيضاء تهر فوق خديه محبه
لك ، لي ، لمن داسوه في درب الزحام
ألقى السلام ...
وصفا محيائه ، وأغفقت بين جفنيه غمامه
بيضاء شاحبة يطل بعمقها نجما سواد
ومتطت الرئتان في صدر زجاجي خرب
وامتدت الأنفاس مجهدة تراوغ أن تبوح بالانكسار :
« إني انهزمت ، ولم أصيب من وسعها إلا الجدار

والنور ، والسعداء ، من حولي ، وقافلة البيوت
لكنته ألقى السلام ...

ومضى ، ولا حس ولا ظل كما يضي ملاك
وتكورت أضلاعه ، ساقاه ، في ركن هناك
حتى ينام
من بعد أن ألقى السلام

كنا على ظهر الطريق عصابة من أشقياء
متعذبين كآله
بالكتب والأفكار والدخان والزمن المقيت
طال الكلام ... مضى المساء لجانة ... طال الكلام
وابتل وجه الليل بالأنداء
ومشيت إلى النفس الملالة ، والنعاس إلى العيون
وامتدت الأقدام تلمس الطريق إلى البيوت
وهناك في ظل الجدار يظل إنسان يموت

ويَظَلُّ يَسْعَلُ ،

والحياةُ تجفُّ في عينيه ،

إنسانٌ يموت

والكتبُ والأفكارُ ما زالت ..

تَسُدُّ جبالُها وجهَ الطريقِ

وجهَ الطريقِ إلى السلامِ ...

الهنز

يا صاحبي ، إنني حزين
طلع الصباح ، فما ابتسمت ، ولم يُنرِ وجهي الصباح
وخرجتُ من جوفِ المدينةِ أطلب الرزقَ المتاح
وغمستُ في ماءِ القناعةِ خبزَ أيتامي الكفاف
ورجعتُ بعد الظُّهرِ في جيبي قروشُ
فشربتُ شايًا في الطريق
ورتقتُ نعلي
ولعبتُ بالنرد الموزعِ بين كفي والصديق
'قل ساعة' أو ساعتين
قل عشرةً أو عشرين

وضحكتُ من أسطورةٍ حمقاءِ رَدَّهَا الصديق
ودموع شحاذٍ صفيق
وأتى المساء
في 'غرْفَتِي دَلَفَ المساء
والحزنُ يولدُ في المساءِ لأنه حزنٌ ضرير
حزنٌ طويلٌ كالطريقِ من الجَحِيمِ إلى الجحيمِ
حزنٌ صموتٌ
والصمتُ لا يعني الرضاءَ بأن أُمْنِيَةً تموت
وبأن أياماً تفوت
وبأن مِرْفَقَنَا وَهَنَ
وبأن رِيحاً من عَفْنِ
مسِّ الحياة ، فأصبحتُ وجميعُ ما فيها مقبوت

حزنٌ تمدَّدَ في المدينه
كاللص في جوفِ السكينه
كالأفعوانِ بلا فحيح

الْحَزَنُ قَدْ قَهَرَ الْقَلَاعَ جَمِيعَهَا وَسَبَى الْكَنُوزَ
وَأَقَامَ حَكَامًا طِفَاهُ
الْحَزَنُ قَدْ سَمَّلَ الْعِيُونَ
الْحَزَنُ قَدْ عَقَدَ الْجِبَاهَ
لِيَقِيمَ حَكَامًا طِفَاهَ

يَا تَعَسَّهَا مِنْ كَلِمَةٍ قَدْ قَالَهَا يَوْمًا صَدِيقُ
مَغْرَىً بِتَزْوِيقِ الْكَلَامِ
كُنَّا نَسِيرُ
كَفَيْ لِكَفَيْهِ عِناقُ
وَالْحَزَنُ يُفْتَرِشُ الطَّرِيقَ
قال الصديق :

يا صاحبي !...

ما نحنُ إلا نَفْضَةٌ رَعْناءُ من رِيحِ سَمومِ
أو مَنِيَّةٌ حَمقاءُ

والشيطانُ خالِقُنَا لِيَجْرَحَ قُدْرَةَ اللَّهِ الْعَظِيمِ

او أن اسمينا بـبرجِ النـحسِـ كانا ، يا صديق
وجفَلتُ فابـتسمَ الصديق
ومشى به خـدَرٌ رقيق
ورأيتُ عينيه تألقتا كـصباحِ قديم
ومضى يقول :

« سنعيش رغم الحزن ، نقهره » ، ونصنع في الصباح
أفراحنا البيضاء ، أفراحَ الذين لهم صباح ..
ورنا إليّ ...

ولم تكنُ بشراهٍ مما قد يُصدِّقه الحزينُ
يا صاحبي !

زوّقَ حديثك ، كل شيءٍ قد خلا من كلِّ ذوق
أما أنا ، فلقد عرَفتُ نهايةَ الحـدَرِ العميق
الحزنُ يفتشُ الطريقَ ...

عيد الميلاد لسنة ١٩٥٤

نَزَحَ المساء ولم أزل أحيًا بأحلام النيام
أرد النهار بمقلَّتِي سَأمانَ من هَوْلِ الزحام
ماذا عليّ لو انعطفتُ لغرفتي ... حتى أنام
وأغوصَ في بحر السلام

النور عملاقٌ يزلزل هدأتي ويهدُّ أمني
ويريني المهوى العميقَ لرحلتي فيربع ظني
يا ليلُ، يا راحي، ومصباحي وأفراحي، وكنثي
أبعِدْ رماحَ النورِ عني !

يا وحدتي ! الليلُ راح لا بدُّ من خوضِ الصباح

لا بد من خوضِ الصباحِ إلى الجراحِ ، إلى النواحِ
ماذا بوسعِ النازلينَ إلى الصباحِ ، بلا سلاحِ
يا وحدتي ، الليلِ راحِ

الكأسُ في كفي نجيبهُ تلد الخرافاتِ العجيبه
تلد المساءَ غوانياً يُغفِنَ في الحُمَّلِ القَشِيبَه
تلد الصباحَ انا بهِ (المنصورُ) في رأسِ الكتيبهِ
لكنّها حُبائى كذوبه

أمعيري بالوهم ، لا وهمٌ هناكَ ولا حقيقه
الطفلِ يفجؤني بأسئلهِ محيرةٍ عميقه
وذوو الذقونِ البيضِ يزدحمونَ في الغرفِ العتيقه
ويفتشونَ عن الطريقه

يا عيدُ، يا نبعي الكتيبُ يا ذكراً إنسانِ غريبِ
حملِ الذنوبَ عن القطيعِ فماتَ من وقرِ الذنوبِ
يا لاهناً فوق الصليبِ يكادُ يسألُك الصليبُ
لمُمتٌ من دونِ الصليبِ ؟

« السورناتا ،

ولا تُشغلي إننا ذاهبانِ
لنحيا على بقلها ، لا الحياةُ
ونصنعَ كوخاً حوالبه تلُ
ويا فتنتي ، سامي رحلتي
إلى قريةٍ لم يطأها البشرُ
تضنُّ علينا، ولا النبعُ جفُ
من الوردِ باحتتهُ ، والسُجفُ
وغرْبَتُنَا المرفأُ المنتظرُ

وكانَ سريرك من صنْدَلِ
وطوقُكُ جيدك بالياسمينِ
وثوبك خيطُ من الموسلينِ
وُنُرُخي الستارَ ، وفيروزتانِ
وفرشتتهُ من حريرِ الشأمِ
ومسحتُ كفيك بالعنبرِ
وخيطُ من الذهبِ الأصفرِ
تموجانِ في وجهك المُستهامِ

وأيقظني صاحبي (يا فلان)
أفِقْ ، غَمَرَ النُّورَ وَجَهَ الوجود
ودوَّى القطارُ ، ومَاجَ الطريقُ
زحاماَ من الأرضِ حتى السماء
يساقونَ والموتُ في مرصدِ
لمركَةِ البُلْهِ والأغبياءِ
لأجلِ الرَّغيفِ ، وظلِّ وريفِ
وكوخِ نظيفِ ، وثوبِ جديدِ
وفي العصرِ شَفْتُكَ يا فتني
ولم نفرقِ في الزحَامِ البليدِ
وقبَلْتُ ثوبَكَ يا فتني
لأنَّكَ أنتَ رجائي الوحيدِ

الرحلة

الصبحُ يدرجُ في طفولته والليلُ يحبو حبو منهزمِـ
والبدرُ كَلَمَ فوقَ قريتنا أستارَ أوبتهِ ، ولمْ أنمِـ

جامٌ وإبريقٌ وصومعةٌ وسماءُ صيفِ ثمرَةَ النِعمِـ
قد كرمت أنفاسها رثتي وتقطرتَ أنداءُها بفيـ
ونجيمةٌ تغفو بنافذي

لَحَظتْ شُرُوديَ لحظَ مبتسمِـ
وصديٌّ لموالٍ يعاودني
وحفيفٌ موسيقى من السُدُمِـ
ورؤىٍ أنصرها وأقطفها وألمها ، ويذرها ساميـ

وعرائسٌ تختالُ في حُلْمي بين الدفوفِ وضجةِ النغم
وأطلُّ مأخوذاً فتبسم لي تيجانها ، ويهزني ضَرَمي
وترودُها كفي فيفجِعني حسُّ الدمى ، وبرودةِ الصنم
قمي تنكّرُ لي مسالكُها من بعدِ إلفي روعةِ القمم
يا رحلةَ المعنى على خَلدي قرّبي يجذبني ، عانقي عدّمي

ولسّ المساء وجوه السحري الصبح أشرق وجهه الخمري
يا إخوتي النّوام ، ما أحلى
حُضنَ الكرى ، وسدّاجَةَ الفكرِ

الوافد الجديد

زورقي جانحٌ كثيرٌ
وخليجي ومرفئي
وأنا جاهدٌ لغُوبٌ
نحو قصرٍ من الرمالِ
بينها يرقُدُ الحبيبُ
فوقه مجمرٌ غريبُ
زورقي مالٌ وانكسر
ضاع كدِّي! فلن أرى
وبعيداً على الضفافِ
لحبيبي ، على دمي
وشراعي به خرُوق
نامَ من دونه المَضيقُ
أتهادى إلى الأبدِ
وقلاعٍ من الزبَدِ
في سريرٍ من الدُخانِ
وظلالٌ من القِيانِ
آغامٌ في الماءِ نصفه
من سبى النفسِ وصفه
هلل الوافدُ الجديدُ
قد بنى عالماً سعيداً

الإله الصغير

كان لي يوماً إله ، وملاذي كان بيته
قال لي « إن طريقَ الوردِ وعُزُّ ، فارتقيته
وتلفتُ ورائي ، وورائي ما وجدته
ثم أصغيتُ لصوتِ الريحِ تبكي ، فبكيتُه



ذاتَ يوم ، كنتُ أرتادُ الصحارى ، كنتُ وحدي
حين أبصرتُ إلهي ، أسمرَ الجبهة ، وردي
ورقصنا وإلهي للضحى ، خُداً ... ليخد
ثم نمننا ، وإلهي ، بينَ أمواجِ ووردِ



وإلهي كانَ طفلاً ، وأنا طفلاً عبدتهُ
كل ما في الروضِ يهواهُ ، ولكنني امتلكتُهُ
كلما نغمَ في الأيكةِ عصفورُ ، لثمتُهُ
وإذا ثارتُ بنا الأشباحُ والليلُ ، اعتنقتُهُ



ومشينا مرةً في الليلِ ، والوجدُ طَلايمُ
فنشةُنا ثورةَ المطرِ ، وقبَلنا الكمايمُ
وشهدنا في انتصافِ الليلِ ميلادَ النسائمُ
ورجعنا في ثيابِ الفجرِ ، نبدو كالتوائمُ



ثم أصبحتَ إلهي تمنعُ الحظوةَ عني
وأناديكَ فأعيما ، ويسدُّ الصمتَ أذني
وأناجيكَ على الحيرةِ في ظلِّ التمني
أترى رحمتَ أم الوجدِ الذي ضاعَ بعيني



كان لي يوماً إله وملاذي كان بيته
قال لي « إن طريق الورد وعر ، فارتقيته ،
وتلفت ورائي ، وورائي ما وجدته
ثم أصغيتُ لصوت الريح تبكي ، فبكيتُهُ »

الإطلال

أطلال ... أطلال
يمشي بها النسيانُ
في كفه أكفانُ
لكل ذكرى قبرُ
وبينها قبري ..

أطلال ... أطلال
ناحت له صلواتُ
واسترحتُ عبراتُ
وتصدتُ النزواتُ

في ثوبها الشِعْري

أطلال ... أطلال

الوردُ فيها تَلّ

ممزّقُ مبتل

بالنهرِ من سَمْعِي

والقَيْظِ من فِكْري

أطلال ... أطلال

والجنُّ فيها سُودُ

لهم فَحِيحُ السُّودِ

يَثْبُونُ في الأَسْحارِ

وثباً على صدري

أطلال ... أطلال

والفجرُ فيها طفل

معضرٌ معتلّ

ممزّقُ الوَجَنَاتِ

مروّعٌ يجري

أطلال ... أطلال

والبلبلُ النواح

ولتى بغيرِ جناح

إلا رؤىً وخيالٌ

أصبحتُ لا أدري

أطلال ... أطلال

لا شيءَ غيرِ الويلِ

وغيرِ قلبِ الليلِ

وموكبِ الإغصانِ

يعدو إلى البحْرِ

أطلال ... أطلال

« تأنجو » ترنّ هناك

أزهارها أشواك

وشطّتها خداع

والركبُ لا يدري

أطلال ... أطلال

هذي هي الأطلال

نِهَايَةَ 'الآمال'

أَسْعَى وَرَاءَ الشَّمْسِ

والشمسُ في ظهري..

ذكريات

ذات مساءٍ مظلمٍ كأنه سردابٌ
أطلُّ من كوى الجدارِ وجهه المرتابُ
والريحُ حولَ كوخهِ قارصةٌ مدممةٌ
والرعدُ قاصف الصدى ، مدينةٌ منهدمةٌ
والبرقُ ضاءٌ في السما أهلةً أهلةً
والأفقُ غابةٌ كثيفةٌ النباتِ مشعلةٌ
فلم يجد له إلى الخلاصِ من سبيلِ
ومات في مسجنته ، في كوخهِ الذليلِ

وبعدَ عامٍ ، مثلما يقالُ ، دبت الحياةُ

في روحه وجسمه ، فهبَّ يبتغي النجاة
أطلَّ من كوى الجدارِ وجهه ، يا فرحنا
فأطبقَ العينين ، صرَّ بآبِه ، والتفتنا
وكانت السماءُ بحجرةٍ تموجُ بالحنافِ
والشمسُ والهِلالُ في الخضمِّ زورقانِ
وحينَ مَدَّ قامةً كسيرةً محطومه
تلفعَ الثوبَ القديمَ ، والحوائجَ القديمه

وكان جائعاً وظامئاً ، ممزَّقَ الثيابِ
ولم يكنْ لقلبه في الكونِ من أحبابِ
وفجأةً لاحت له أميرةٌ مؤتزرةٌ
بيضاءُ مثل لؤلؤٍ ، وحلوة كسكره
مدَّت ذراعِي فِضةً تلقاهُ في تحنُّانِ
وكبَّومتُ في ثغرها النضيرِ قبلةَ الحنانِ
لكنه استدارَ للفلاةِ حائرَ الخطى
كانه ، فيما يحدثون ، عملاقٌ مضى

ومات يا سيدتي الحسنة ميتة الشهيد
ولن يعود للحياة ، والشهيد لن يعود
وتسألين : لم حكيت في المساء قصته
ولم بعثت في السكون ذكريات ميتة ؟
سيدتي ! وحينما عاهدته كان يموت
سيدتي ! أما عرفت انني صموت
يطل من كوى الجدار وجه المرتاب
كل مساء مظلم كأنه سرداب

اطلك لك

أواحدتي ، قبَلما نلتقي
بذاك المساءِ السعيدِ البعيدِ
بلوتَ الحياةَ وأرزاءَها
عرفتَ صليلَ القيودِ الحديدِ
وكم ليلةٍ جُعنتُ يا فتنتي
وأخرى ظمئتُ
وكم جَعَدتُ عارضِيَّ الدِّماءِ
وقد وَخَزَتها ليالي الشتاءِ
تصارعتُ والهولُ وجهاً لوجه
ولكنني ، ما عرفتُ الفِترارَ

أواحدتي ... ربما تعجبين

وقد تسألين

لماذا إذن يا صديقي ينورُ عينيكَ فيضُ سرورٍ وحب

حكايةُ هذا على طولها لا تثيرُ السأمَ

سأحكي الحكايةَ من بدئها

لحدِّ الختامِ

صبايَ البعيد

أحنُّ إليه ، لألعابه

لأوقاتهِ الحلوةِ السامِره

حنيني غريب ...

إلى صُحبتِي

إلى إخوتي

إلى حِفْنَةِ الأشقياءِ الظهورِ ينامونَ ظهراً على المصطبه

وقد يحملونَ بقصرِ مَشِيد

وبابِ حديد

وحورية في جوارِ السريرِ
ومائدةٍ فوقها ألفُ صحن
دجاجٌ وبطٌ وخبزٌ كثيرٌ

إلى أمي البرة الطاهره
تخوفني نعمة الآخره
ونارَ العذاب
وما قد أعدوه للكافرين
وللسارقين ، وللأعبين
وتهتفُ إن عَشَرَتُ رجله
وإن أَرْمَدَ الصيفُ أجفانيه
وإن طنَّنتُ نَحْلَةُ حويله
بإسم النبي

وفي الليلِ كنتُ أنامُ على حجرِ أمي
وأحلمُ في غفوتي بالبشرِ

وعَسَفِ القَدْر
وبالموتِ حينَ يَدُكُ الحِياهُ
وبالسندبادِ وبالعاصِفَه
وبالغولِ في قِصرِه الماردِ
فأصرخُ رُعباً ...
وتهتفُ أُمي باسمِ النبي

صباي البعيد
وأرعدُ إن مَسَّ قِلي رِجْعُ فِجائِعِه المِرَّةِ الجائِرِه
وهذا الرِجلُ !!
أخي وابنِ أُمي
وكانتُ 'خطاهُ' 'خطى العنقوان'
وفي عِينِه وَمَضَّة الكِبْرِياءِ
وفي ليلَةٍ عادَ من حقلِه
وقد قَطَّبَتِ وجَهَه 'علته'
ومات !

وفي حُفْرَةٍ من حفارِ الطريق
وهبناهُ للأرضِ بامم النبي
وجاءَ رجالٌ ، رجالٌ غلاظُ
ودَقُّوا الحديدَ على قبره
حديدَ الطريقِ

أواحدتي... فكرةٌ طوَّفتُ برأسيَ ذاكَ المساءَ السحيقِ
أكان يُدَقُّ ضليبُ الحديدِ ؟
على رأسِهِ

يومَ كانَ قوياً تضجُ الحياةُ بشُرَيانِهِ ، ويفوحُ العرقُ
لو الأرضُ لم تزدِدهُ إليها ، أكانَ الحديدُ عليه يُدَقُّ ..؟
ومن موتهِ انبثقتِ صحوتي
وأدركتُ يا فتنتي أننا
كبارٌ على الأرضِ ، لا تحتها
كهذا الرجلِ

أواحدتي ... المساءُ السعيد

وطيفك يبهجني بالحياه
فأحبو إلى ذكريات الشباب
عرفت به فوزة الأقوياء
بقلي ، فأضحت حياتي لهيب
وقالت لي الأرض « الملك لك »
تموت الظلال ويحيا الوهج

الملك لك

الملك لك

الملك لك

فيا صيحة لم يقلها نبي
ولا ساحر همجي الصنج
ولكنها في مساري الدماء
ومن نبضة الأذرع القادره
أواحدتي ، وعرفت القلم
كتبت به أحرفاً شاعره
ليعرف إخوتي الأصفياء

نشيدَ البناء

الملك لك ...

أواحدتي ، في المساءِ الأخيرِ

ألوبُ إلى عُرفتي

ويزحمُ نفسي انبهارِ غريبِ

وأنظرُ يا فتنتي للسماءِ

ومن بابها الذهبيّ الضياءُ

يضيءُ الدجى بانهارِ النجومِ

ينورُ في وجنتيها السلامُ ...

وتصدحُ أجراسُها بالفرحِ

وأفرحُ يا فتنتي بالحياةِ

بالأرضِ ،

بالمملكِ ،

الملكُ لك

جارتى مَدَّتْ من الشرفَةِ حبلًا من نَفَمٍ
 نغمٍ قاسٍ رتيبٍ الضربِ منزوفِ القرَّارِ
 نغمٍ كالنارِ
 نغمٍ يقلعُ من قلبي السكينه
 نغمٍ يورِقُ في رُوحى أدغالا حزينه
 بيننا يا جارتى بحرٌ عميق
 بيننا بحرٌ من العجزِ رهيبٌ وعميق
 وأنا لستُ بقُرْصَانٍ ، ولمُ أركب سفينه
 بيننا يا جارتى سبعُ صحارى
 وأنا لمُ أبرح القريةَ مُذْ كنتُ صَبِيَا

أَلْقَيْتُ فِي رَجُلِي الْأَصْفَادُ مَذْكَ كُنْتُ صَبِيًّا
أَنْتِ فِي الْقَلْعَةِ تَغْفِينِ عَلَى فَرَسِ الْحَرِيرِ
وَتَذُودِينَ عَنِ النَّفْسِ السَّامَةِ
بِالْمَرَايَا وَاللَّآئِي وَالْعَطُورِ
وَأَنْتِظَارِ الْفَارِسِ الْأَشْقَرِ فِي اللَّيْلِ الْأَخِيرِ
« أَشْرَقِي يَا فَتْنَتِي »

« مَوْلَايَ !! »

« أَشْوَاقِي رَمَتْ بِي »

« آه لَا تَقْسِمِ عَلَيَّ حُبِّي بِوَجْهِ الْقَمَرِ
ذَلِكَ الْخَدَّاعُ فِي كُلِّ مَسَاءٍ »

يَكْتَسِي وَجْهًا جَدِيدًا ..

جَارَتِي ! لَسْتُ أَمِيرًا

لَا ، وَلَسْتُ الْمَضْحَكِ الْمَرَاخِ فِي قَصْرِ الْأَمِيرِ
سَأْرِيكَ الْعَجَبَ الْمُعْجَبَ فِي شَمْسِ النَّهَارِ
أَنَا لَا أَمْلِكُ مَا يَمَلُّ كَفْسِي طَعَامًا
وَبِحَدِّكَ مِنَ النِّعْمَةِ تَفَاحٌ وَسُكَّرٌ

فاضحكي يا جارتي للتُساء
نغمي صوتك في كل فضاء
وإذا يُولدُ في العتمة مصباحٌ فريدٌ
فاذكري ...
زيتُه نورٌ عيوني وعيونُ الأصدقاء
ورفاقي طيبون
ربما لا يملكُ الواحدُ منهم حشوةَ فمٍ
ويعرثون على الدنيا خِفافاً كالنسمُ
ووديعين كأفراخ حمامه
وعلى كاهلهم عبءٌ كبيرٌ وفريد
عبءٌ أن يُولدَ في العتمة مصباحٌ وحيد ...

أغنية حب

وجهُ حبيبي خيمةٌ من نورٍ
شعر حبيبي حقلٌ حنْطَةٌ
خدا حبيبي فلقتما رمانُ
جيد حبيبي مقلعٌ من الرخامِ
هدا حبيبي طائرانِ توأمانِ أزْغَبَانِ
حُضن حبيبي واحةٌ من الكرومِ والعطورِ
الكنزُ والجنةُ والسلامُ والأمانُ
قربُ حبيبي

لقد صَنَعْتُ من ضلوعي ذلك الصُنْدُوقِ

أوتارُهُ الظلامُ والخيالُ ، 'مقلّتاَيَ عازفانُ'
وجئتُ بستانكِ الصغيرِ ، يا مليكيةَ النساءِ
في غبْشَةِ المساءِ
من بعد أن أنفقتُ يومي في الغناءِ للصِحَابِ
حدثتهم عن كوعتي ، يا جرحي ، المخضِل ، يا ذلتي ،
وكلّهم جريحُ

وليس مثلي واحدٌ ...

جيد حبيبي مقلّع من الرخام
وجه حبيبي خيمة من نور
علّةتُ أقداري على خيطٍ رفيعٍ من ضياءِ

صنعتُ مركباً من الدخانِ والمدادِ والورقِ
رُبّانها أمهرُ من قادَ سفينا في خضمّ
وفوق قمة السفينِ يخفقُ العلمُ
وجه حبيبي خيمة من نور

وجه حبيبي بَيْرَاقِي المنشورُ
جبتُ الليالي باحثاً في جوفِها عن لؤلؤه
وعدتُ في الجرابِ بضعةً من المحار
وكومةً من الحصى ، وقبضةً من الجمار
وما وجدتُ اللؤلؤه
سيدتي ، إليك قلبي ، واغفري لي ، أبيضُ كاللؤلؤه
وطيبُ كاللؤلؤه
ولامعُ كاللؤلؤه
هديةُ الفقير
وقد ترينهُ يزينُ عشكِ الصغيرُ ...

أناشيد غرام

- ١ -

يا أملا تَبَسَّما

يا زَهْرًا تَبْرَعما

يا رشفةً على ظمًا

يا طائرًا مفرداً 'مرنمًا

ما حطَّ حتى حوَّما

قلبي فريد

يفورُ فيه جرحه' المديد

لأنه يا حَبَّبي الوحيد

طفلٌ عنيد

مشرّدُ الخطى
يتوه في المدى
وراء نعمة بعيدة الصدى
لعلّهُ خداعُ
لعلّهُ في بحرِ الهوى الضياع
لكنّ ريحاً تنشرُ الشراع
لرحلة بلا صَوَى
إلى الهوى ..!
إلى الهوى
للحبّ من جديد

وأنتِ يا حبيبتي أسقيتني خمره
في كأسه مدورّه
وطارَ قلبي ، ثم طرّت إثره
فلمستُ صاحباً لكي أراجعَ الهوى
لعلّني أكونُ

غرقتُ في دوامةِ الجنونِ
لقد تركتُ العقلَ للذين يعقلون
وكلُّ ما أدريه أنني فتنتُ بكِ
بروحِكِ المحيِّره
والنظرةِ المنكسره
والقامةِ المقتدره
وكلُّ شيءٍ فيكِ يا حبيبتي كأنه ذوقِي
وما حملتُ أن أراه طيلة الأعوامِ

- ٢ -

حُبِّكَ
عصفورٌ ينقرُّ في بَيدَرِ
قلبي بَيدَرِ
عيناكِ نَعَّاسٌ نَمُورُ
والخصلةُ ظِلِّي من وَهَجِ الخدَّينِ
والشفتينِ

خطٌ شَفَقِي "عَاتِقَ خَطًا
 وهلالٌ من رَحْمَةٍ
 يُغْفِي في صدرِ هلالٍ من 'حب'
 قالت شفتاك نعمٌ
 فأنا ملقىٌ فوق بساطِ الريحِ إلهًا محبُورًا
 نبَسَتُ شفتاكَ بلا ...
 فأنا حائرٌ
 والظلمةُ 'تورقُ' في قلبي دَغْلًا
 فلنفرح يا حيي ! فالعمرُ قصيرٌ
 فلنفرح يا كنزَ الفرحةِ ...
 يا كنزي ...

- ٣ -

أحبك يا ليلاي ، لا القلبُ غادرٌ
 هواهُ ، ولا الأيامُ مُسْعِفَةٌ "حُبِّي
 وأنتِ على البينِ المُشتِ" وشيكةٌ

ولمّا تقبضُ الحاجُ للواله الصبُّ
وكيفَ احتالي البعدَ ، والبعدُ لوعةٌ
وكيفَ مقامي ، والهوى نازعٌ لبّي
وفي كل ما ترنوا له العين ذكرةٌ
لهذا الهيّا الطلقِ ، والمبسمِ العذبِ
وأشجانِ ما نحكي وأحلامِ ما نرى
وأفباءِ عطفِ يستظلّ بها قلبي
وقلتُ لقلبي - والأمانى تعلّةٌ
رسا زورقي بعدَ الترحلِ يا قلبي
وها قد بدا الحبُّ الكبيرُ لناظري
نفضتُ يدي مما سواه من الحبِّ

- ٤ -

وللقمر ...
وجهك الطفلي
وللنسم

طبائعك الرقيقة

وفي مساء الصيف

صفاءُ نفسك الحية الحبيبة

أودعتهم - من قريتي - أمانة السلام

عليك يا حبيبتي ، لأنهم أصحاب

وأن يوشوشوا جميعهم بأذنك الصغيره

في فجر يوم العيد

« ليمتلئ بالفرح والأعيادِ 'عمرُكِ الطويل ،

وقال لي القمر :

« لقد دلفتُ في حياءٍ نحو فرسها الصغير

ثم وقفتُ ذاهلاً كأنني مسحور

وكان وجهها منوراً كأنه .. قرر

وقلتُ : يا أختي تقبلي السلام

ثم تركتُ فوق خدّها 'نجيمتين

وقال لي النسيم :

« أحنيتُ رأسي عند بابها ، وكنتُ أرتجف

فطمأنتني ، ثم قالت : عم مساءً يا نسيمُ ، ما وراءك؟
فقلتُ : يا مليكةَ النساءِ يبعثُ الفتي
من دارِهِ الريفيةَ السلامَ لئليكه
وأحمرَّ خدَّها ، وتمتتُ بكلمتين حلوتين :
الشكرُ لكُ

تنفَسَتُ عندئذٍ في الغرفةِ الموسيقي
فلمتُ كفاي ثوبي ، وانطلقتُ في حفيف

مع النغمِ

مع النغمِ

مع النغمِ ،

أما أخي ، زميل غربتي ، المساء

فقد غفًا يجاني ينتظرُ الجواب

وحين عادَ صاحبايَ غائمينُ

عانقتهُ ، ونمتُ في أحضانهِ الرحيبه

حبيبتي ! أتضحكينَ ؟... إنها أحلام

ما أجلَّ الأحلام

لمثلنا ، لمن يمرهم شجى الأيام

- ٥ -

لحن الحتام يا حبيبتى هو السلامُ والدعاءُ
وأن تكوني لي ... إلى الأبد
وأن يكون حبنا مباركاً كما الحياه
ونامياً عميقة جذوره في نفسنا
وأن نعيش هذه الأيام طاهرين شامخين
ممزوجة أقدارنا في كاسه نعبها معاً
وأن تكون مقلتناك آخر الذي أرى من الحياه
وحين يكون قلبك الكبير جنب قلبي
فالبحر لا يفصلنا
والنار لا تخيفنا
وكل شيء يا حبيبتى يهون
ما دمت لي ... إلى الأبد

رسالة الى صديقتي

صديقتي

عمي صباحاً ، إن أتاك في الصباح
هذا الخطاب من صديقك المحطّم المريض
وادعي له إلهك الوديع أن يشفيه
وسامحيه ، كيف يرجو أن يُنمّق الكلام
وكل ما يعيش فيه أجردٌ كئيبٌ .. ؟
فقلبه كسيرٌ

وجسمه مغللٌ إلى فراشه الصغير
وبالجراح والآلام قلبه كسير
نهاره ثرثرة العواد والصحّاب

ولبه غرائب لم يحورها كتاب
 بالأمس في نومي رأيتُ الشيخَ محيي الدين
 مجذوبَ حارتي العَجوزُ
 وكانَ في حياته يُعَينُ الإله
 تصوّري ، وَيَحْتَلِي سناه
 وقالَ لي « ... ونسهرُ المساء
 مسافِرَيْنَ في حديقَةِ الصفاء
 يكونُ ما يكونُ في مجالِسِ السحر
 فظنُّ خيراً ، لا تسلني عن تخبر
 ويعقدُ الوجدُ اللسانَ ... من يبُحُ يضل
 وميتُ مَغِيظاً .. قاطعَ الطريقُ .. »
 وماتَ شيخنا العجوزُ في عامِ الوباء
 وصدقيني ، حينَ ماتَ فاحَ ریحُ طيبُ
 من جسمِهِ السليبُ
 وطارَ نعشُهُ ، وضجَّتْ النساءُ بالدعاءِ والنحيبِ
 بَكيتُهُ ، فقدَ تصرّمتُ بموتهِ أو اصرُّ الصفاء

ما بينَ قلبيّ اللجوجِ والسماءِ
بالأمسِ زارني ، ووجههُ السمينُ يستديرُ
... مثلَ دينارٍ ذهبُ

ومقلّتهُ 'حلوّتان' ... جرتانِ من عَسَلِ
عميقتانِ بالسرورِ

بياضُ ثوبِهِ يكادُ يخطفُ الأبصارُ
وقال لي - وصوتهُ العميقُ كالنغمِ -

« يا صاحِ : أنتَ تابعي

فقم معي ..

ردّ مشرعي

فالأمرُ في الديوانِ ... 'قم' !

- يا شيخُ محيي الدينِ إنني كسير

- لا يُكسرُ الجناحُ ، يا إنسانُ ، والإنسانُ داءُ قلبه

النسيانُ

- يا شيخُ محيي الدينِ إنني صغيرُ

- بل كلنا صغارُ ... الحبيبُ وحدهُ هو الكبير

لم أدر كيف غاب
لا من خلالِ باب
أنصتُ ، لم أسمعُ خطاهُ تلمسُ التراب
حدقتُ وانتفضتُ ، وانزعجتُ لحظةً ، وغاب

صديقتي ، إني مريض
وساعدي مكسور
ومُهجتي على الفراشِ كلَّ ساعةٍ تسييل
وأغزو الترابَ في سكينتي رداً
وأصنعُ الأكفانَ ، ثم أنجبرُ التابوت
هذا الصباح ...
أدرتُ وجهي للحياةِ ، واغتمضتُ ، كي أموت
في هدأةِ السكوت
قد آن للشعاعِ أن يغيب
قد آن للغريبِ أن يؤوب
للمركبِ الجانحِ أن يرسو على شطِّ قريب

للجدولِ الناضِبِ أنْ يُفْضِي إلى نهرِ رحيبٍ
وطرقتينِ فوقَ بابنا ... موزّعُ البريدِ
لا ! لا أريدُ

هل مِنْ مُزِيدٍ يا حياة ، محنتي ! هل مِنْ مُزِيدِ
خطابك الرقيقُ كالقَميصِ بينَ مُقلتيْ يعقوبِ
أنفاسُ عيسى تصنعُ الحياةَ في الترابِ
الساقَ للكسيحِ
العينَ للضيرِ

هناةَ الفؤادِ للمكروبِ
المقعدونَ الضائعونَ التائهونَ يفرحونَ
كثما فرحتُ بالخطابِ يا مسيحي الصغيرِ ...

نام في السلام

« لذكرى قريبي وصديقي الطيار محمد نبيل الباجوري »

« استشهد على دمال غزة في سبتمبر عام ١٩٥٥ »

وأذرفت عيناهُ دمعَةَ السرورِ
ونوّرت في وجهه النبيلِ بسمهٌ وديعهُ
يحارُ في تأريلها القضاءُ
ومد كفتهُ ، منارةَ الضياءِ
ثم أجالَ طرفهُ كأنه يبارك الحياةَ والأحياءِ
بنظرةٍ باسمهٍ تضاحيكُ السماءِ
وماتَ ذلك الوديعُ دون ما احتفالِ

معلّمًا ورائدًا في 'سنة الكمال'
أما التلاميذُ الذين أنفقوا أيامهم محبةً للحكمة
فقد تهامسوا بدهشةٍ
«أبسمُ المعلم؟»

عندئذٍ أجابَ أكثرُ الشبابِ فطنه
ألم يقلُ لنا المعلمُ الشهيدُ حكمةَ الأجيالِ
يا أيها الإنسانُ ...
إعرفُ نفسك ..

وهو يموتُ وادعاءً ، لأنه عرفُ
فماتَ في سبيلِ 'سنة الكمال'

وجرَّ آخِرُ صليبهُ ، ووجههُ يفورُ بالزبدِ
والجُهدِ والرمضاءِ يغمريانِ منكبينِ عارينِ
لكنه ابتسمُ
لأنه قد وهبَ الحياةَ
أيامه القليلة

لكي يزيدَ في هذءِ ابتسامةِ الصَّبى
ونشوةِ العذراءِ
وفرحةِ الآباءِ بالأبناءِ
لكي ترفَّ في سحابةِ السماءِ
حمامةُ السلامِ

أما أخي « محمدٌ نبيلٌ »
فقد طوى جنازهُ شوارعَ المدينةِ
في ظهرِ يومٍ قانظٍ ، والناسُ مطرقونُ
أحبابهُ ، أحبابُنَا ، وأهلُ حِيننا القديمِ
وأعولتُ صبيةً في شرفةٍ مهدومةِ
ودقَّ طبلُ معولٍ ، وسارَ جندٌ واجونُ
وساءلتُ مشيرةً عجوزُ
« في ذلك الصندوقِ ، من هذا الذي ثوى ؟ »
« هذا فتىٌ مجاهدٌ قد ماتَ في العشرينِ »
ولم تقلِ كلِّمةً ، امرأةٌ غريبةُ

لكنسها من قومنا ، في قلبها كنوز
وتعرفُ الحنانَ والأحزانَ
فاندفعتُ باكيةً في زحمةِ الجِنَازِ
ومسُّ لحمها العجوزُ منكبي وساعدي
وكانَ لحمُ منكبي يفوصُ في الصندوق
وكلُّ شيءٍ كانَ هامداً كأنه يموتُ
لكنه يموتُ في عناقِ

وفي المدافن التي تنامُ في الحقولِ غيبوهُ
لم يبقَ من هذا الوسيمِ غيرُ حفنةِ ترابِ
ترابِ مصر

تعود كي تنامَ في حُضنِ الترابِ
ترابِ جدنا وأهلينا ، تنامُ
تنامُ في سلامِ
وكانَ في وجه السماءِ سحابةٌ من الشفقِ
حمراءُ مثلُ دمِّ

وكان في طرفِ المدى نَوّارةُ الحقُولُ
بيضاءُ مثلُ قلبِينا ، وقلبهِ ، وقلبِ ميتينِ آخرينِ
من قومنا المجاهدين الطيبين
من قومنا الذين باركوا الحياةُ

مرتفع أبداً

رفع العلم المصري على مبنى البحرية ببور سعيد

يونيه سنة ١٩٥٦

لترتفع ، لترتفع ، يا أيها المجيد
يا أجلّ الأشياء في عيني ، أنت يا خفاق
يا أيها العظيم ، يا محبوب ، يا رفيع ، يا مهيب
يا كلّ شيء كان في الحياة أو يكون
يا علمي ، يا علم الحريّة
فداء تلك اللحظة الجميدة الثريّة
مضى إلى السكون من أحبابنا ألوف

ليجعلوا قلوبهم تلاً من التراب
يقومُ فوقهُ العَلَمُ
ليفتلوا عروقهم ساريةً مجيده
يزينُ فرعها العلم
لينسجوا أيامهم ديباجة خضراء
ترف في الهواء

كوجهيك النذيل ، يا علم
ومن بياض المقلتين ، حين تشخصان للسماء
تستمطران - في ليالي اليأسِ بسمةَ الرجاء
هلالك الوسيم ، يا علم
فلترتفعْ يا أشرفَ الأشياءِ
أفديك صاعداً إلى السماء
كطائرٍ من الجنانِ ينقرُ السحابَ والأجواءِ
برفّةِ نبيلةٍ من ذلك الجناحِ
يهزُّ قلبنا الحنينُ ، يا علم
في سحبةٍ صغيرةٍ من طرفك المعقودِ

يموجُ 'جبنا العميق' ، يا علم
لقد ملكتنا بوجهك الجميل
ورفةِ الجناح
وخفقك النبيل
ورقةِ الوشاح
وما اکتوينا في سبيل أن ترف يا علم

ليسترح على وسادِ الشمس خدك الرقيق
إلى الأبد
لتضحك السماء لك
سحابةٌ سخيةٌ تظلمك
والقمرُ الزاهي يُقبلك
والشفقُ المخضوب بالدماءِ يفسلك
لتحترق على المدى جسمنا
لكي تنيرَ أنت
فغوصُ في جوفِ الثرى عظامنا

لَتَسْتَطِيلَ فِي قَلْبِ الثَّرَى سَارِيَتُكَ

وَتَرْتَفِعُ

وَمَا تَزَالُ تَرْتَفِعُ

يَا أَشْرَفَ الْأَشْيَاءِ

سأقتلك

اكتوبر سنة ١٩٥٦

سأقتلُك
من قبلِ أنَ تَقْتُلَنِي سأقتلك
من قبلِ أنَ تَغُوصَ في دَمِي
أغوصُ في دَمِكَ
وليسَ بيننا سوى السلاح
وليحكُمُ السلاحُ بيننا
سنابكُ الجدودِ وقعبها المهيبُ ما يزال
يموجُ في ذاكرةِ الأيامِ

ونورُهُمْ يُخْتَالُ فَوْقَ مَفْرَقِ التَّارِيخِ
فَنَهُمُ الَّذِي بَنَى حِجَارَةَ الْأَهْرَامِ
لَكِي يُمَجِّدَ الْإِنْسَانَ حِينَ يَشْمَخُ الْإِنْسَانُ
وَمِنْهُمْ الَّذِي بَنَى مَنَارَةَ الْإِسْلَامِ
لَكِي يَقُولُ لِلْأَنَامِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَنَحْنُ فِي حَاضِرَتِنَا الْمَجِيدِ نَصْنَعُ السَّلَامَ
هِدِيَّةً مِنْ شَعْبِنَا لِلْعَالَمِ الْجَدِيدِ
العالم الذي يريد
يريدُ للرجالِ أن يعانقوا الرجالَ دونَ حقدٍ
العالمُ الذي يريد
يريدُ للنساء أن يُغفِنَ وادعاتٍ
في أذرعِ الأزواجِ والأحبابِ والأبناءِ
العالمُ الذي يُصَبِّحُ الأطفالَ ، نَوْرَةَ الْأَمَلِ
بِنُغْمَةِ الحنانِ والدُمى وبالقبيلِ
العالمُ السعيدُ ، واحةُ الأجيالِ
في سعيها قوافلُ الأجيالِ ، نحو عالمٍ سعيدٍ

وأنتَ ، والإحمالُ والعَياءُ والظلامُ في خطاك
تريد أن يَصْفَرَ في القلوبِ بُرْعُمُ الآمالِ
في عالمٍ سعيد
أقسمتُ بالأهرامِ والإسلامِ والسلامِ
سأقتلكُ
بكلِّ ما سُقِيتُ من مراره الأيامِ
أغوصُ في دَمِكِ

أقسمتُ بالأخ الذي مضى ، وخلتُهُ بلا ثمنٍ
في عامِنَا الماضي ، ولم يُلفْ حول جسمه كَفَنٍ
لأنه احترق
على ترابٍ « غزوة » البيضاء بالطائرةِ احترق
كان اسمه « نبيل »
وكنتُ في محبَّتِي أدعوهُ بلبلي الحبيبِ
وكان راعفَ الجناحِ ، دائبَ الأسفارِ
وكان حينما يعودُ ينقرُ الودادَ من فؤادي ..

حبّتين ... حبّتين
فحبةٌ لجوعه ، وحبّةٌ تَذْكار
وفي الأصيل ، كان يهدِلُ اللقاءَ غنوتينُ
فغنوةٌ لأهلنا ، وغنوةٌ للدارِ
لكنّه مضى ، وخبِلتهُ مضى بلا ثمن
أقسمتُ وجهكَ الجديبُ سوف يُصبحُ الثمنُ
من أجله سأقتلك
لأجل ناره أغوصُ في دمك

الشمسُ في بلاد الشمس بهجةُ النظرِ
وفوق معطفِ السحاب يدُ رُجِ القميرِ
وتزدهي النجوم كالزهر
وفي ربي بلاد الشمس تورقُ الحياه
سنابلاً ذهبُ
والشمسُ واللجينُ في صبا الأصيل ينسجان
مطارفاً ما حازها في وهمِ فنّانُ

أقسمتُ بالقمر
وبالسحابِ والزهر
وباللجين ، واهبِ الحياهُ
سأقتلك ،
من قبلِ أن تقتلني سأقتلكُ

أهلُ بلادي يصنعونَ الحبَّ
كلامهمُ أنعامُ
ولغوهمُ بسامُ
وحينِ يسفبُونَ يطعمُونَ من صفاءِ القلبِ
وحينِ يظمأونَ يشربونَ نهلةً من حب
ويبلغنطون حين يلتقون بالسلام
— عليكمُ السلام
— عليكمُ السلام

لأنَّ من ذرَى بلادنا ترقرق السلام
وفاضَ من بطاها محبةٌ خضراءَ مثل نبتةِ الحقُول

ورقة بيضاء كالأزهار في الخميل
ورحمة زهراء
كقلب أمهاتنا
كفرحنا بعيدنا
كالقطن حين يستنير لوزة جنى
وأنت ، يا مُدنَّسَ الخطى
تريدُ ، بشئ ما تريد
لكنني سأقتلك
من قبل أن تقتلني أغوصُ في دمك

الشهيد

يا عجباً ، كلّ مساءٍ موعدي مع المضرّج الشهيد
كانّ منديلَ الشفقِ

دمه

كانّ مدرجَ الهلالِ كفتهُ ومعصمه

كانّ ظلمةَ المساءِ معطفه

وبدرةَ السنّا أزرارُ سترته

كانّه مسافرٌ على جوادِ الليلِ مشرقاً ومغرباً

كلّ مساءٍ بلا ملالٍ

يهيج في قلبي اللبّاعَ والشجى

لأنّ بين مقلتيه جرحاً ما يزال

و حين يوغلُ المساءُ ، أهتَفُ اسمهُ الحبيبُ
أدعوهُ أنْ يخف لي من أفقهِ الرحيبُ
يجيءُ .. لا يكسر قلبي
تجوزُ خفَّاهُ إلى جوارِي
ويتكئُ جنبي على سريري
لكننا عيناياَ تطرفان ، تعشيانُ
وكيف لي ، وجرحهُ في وجهه مصباح
الصمتَ ! لا أحار منطقا
وربما أقولُ : أنت
وربما تطوفُ في وجهيَ أنفاسهُ
كأننا نقولُ جئتُ ...
لكننا ديكُ الصباحِ صاح في الأفق
لنفترق
لا تلهُ عن موعدنا ، إلى اللقا
و حين ينشُرُ الجناح
يقول خافقي : رأيتهُ

تقول مقلتي : كأنني رأيتُ

كل مساءٍ ينزلُ الشهيدُ في مدينته
يبثُّها أسواق قلبه البريءُ
وأمس مرًّا ثم حيًّا وجهه الوضيءُ
هنيهةً وماج ثوبه على استدارة الأفقِ
فوق رُبى المدينة الفساح
وانطفأت جراحه في صدرها الجريءُ
ونور المساءُ بالجراحِ
كأنه صباحٌ ...

أغنية ولقاء

صنعتُ لك
عرشاً من الحرير ... مخملي
نجرتهُ من صندل
ومسندين تتكسي عليهما
ولجةً من الرخام ، صخرها ألماس
جلبتُ من سوق الرقيق قينتين
قطرتُ من كرم الجنان جفنتين
والكأسُ من بللور
أسرجتُ مصباحا
علقتُهُ في كوةٍ في جانب الجدار

ونورهُ المفضضُ المهيب
وظلُّهُ الغريب
في عالمٍ يلتفُ في إزاره الشحيب
والليلُ قد راحا
وما قدمتَ أنتِ ، زائري الحبيب

هدمتُ ما بنيت
أضعتُ ما اقتنيت
خرجتُ لك
علِّي أوافي بمملك
ومثلما ولدتُ - غير شملة الإحرام - قد خرجتُ لك
أسائلُ الرواد

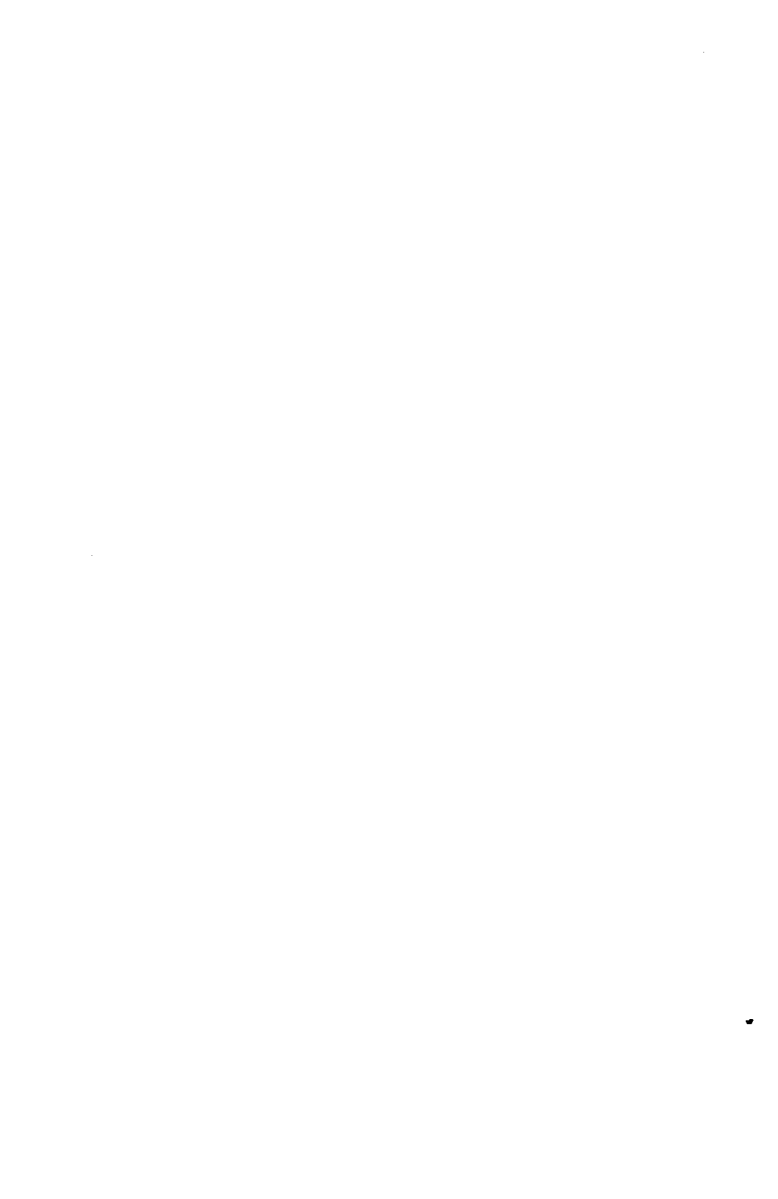
عن أرضك الغريبة الرهيبة الأسرار
في هدأة المساءِ ، والظلامُ خيمةُ سوداء
ضربتُ في الوديان والتلاع والوهاد
أسائلُ الرواد

« ومن أراد أن يemيش فليمتُ شهيد عشق »
أنا هنا ملقىً على الجدار
وقد دفنتُ في الخيال قلبي الوديع
وجسمي الصريع
في مهمه الخيال قد دفنتُ قلبي الوديع

يا أيها الحبيب
معذبي ، يا أيها الحبيب
أليس لي في المجلس السنّي حبة التبيع
فإنني مطيع
وخادمٌ سميع
فإن أذنت إنني النديم في الأسحار
حكايتي غرائبٌ لم يحوها كتاب
طبائعي رقيقةٌ كالخمر في الأكواب
فإن لطفت هل إليّ رنوةُ الحنان
فإنني أدل بالهوى على الأخدان

أليس لي بقلبك العميق من مكان
وقد كسرتُ في هواك طينة الإنسان
وليس ثمَّ من رجوعٍ ...

أقول لكم



أقولكم

الشَّيْءُ الْهَزِينُ

هناك شيءٌ في نفوسنا حزينٌ
قد يختفي ، ولا يبينُ
لكنه مَكْنُونُ
شيءٌ غريبٌ ... غامضٌ ... حنونٌ

لعله التذكارُ
تذكار يومٍ تافهٍ بلا قرارٍ
أو ليلةٍ قد ضمَّتها النسيانُ في إزارٍ
« لو غصتَ في دفائن البحارِ
لمجعتُ كفتاكِ من محارها ...

تَذْكَارُ »

لعلتهُ الندمُ
فأنتَ لوَ دُفنتَ جثةً بأرضِ
لأورقتَ جذورها ، وأينعتَ ثمارَ
ثقيلةَ القدمِ

لعلتهُ الأسى
الليلُ حينما ارتمى على شوارعِ المدينةِ
وأغرقَ الشيطانُ بالسكينةِ
تهدّمت معابرُ السرورِ والجلدِ
لا شيءَ يوقِفُ الأساءةَ ... لا أحدُ

يستيقظُ الشيءَ الحزينُ في أواخرِ المساءِ
يمورُ في الأطرافِ والأعضاءِ
ويثقلُ العينينِ والنبرةَ والإيماءِ

لكنتهُ حنون

يَضُمُّنَا فِي خَدْرٍ مُسْتَسْلِمٍ مَأْمُونٍ

أَنْفَاسُهُ تَنْدِي بِلَا لَزُوجَةٍ عَلَى الْجِبَاهِ وَالتَّرَائِبِ

وَتَوْقِظُ الشَّهْوَةَ وَالْأَحْلَامَ وَالْآمَالَ وَالتَّغْرَائِبِ

لَا تَسْأَلُ الشَّيْءَ الْحَزِينَ أَنْ يَمُرَّ كُلَّ يَوْمٍ

عَلَى مِرَافِقِ الْعَيُونِ

لَا تَسْأَلُ الشَّيْءَ الْحَزِينَ أَنْ يَبِينَ

... أَنْ يَبِينُ

لَأَنَّهُ مَكْنُونٌ

لَا تَسْأَلُ الشَّيْءَ الْحَزِينَ أَنْ يَقِرَّ

لَأَنَّهُ كَطَائِرِ الْبَحَارِ ... لَا مَقَرَّ

وَقَلْ لَهُ :

إِذَا أَهَلَ فِي الْمَدَى ، وَنَقَّرَ الْبِيَاضَ فِي عَيْنِكَ

وَعَيَّمَ الْمَكَانَ بِالْدموعِ مِثْلَ حَلْمٍ ...

« لَقَدْ مَلَكَتَنِي ... فَتَحْتُ لَكَ

صندوقَ قَلْبِي الْكَلِيمِ

فلتقطرُ الدموعُ ... كالنغمِ

لو كان للانسان أن يعيشَ لحظةَ العذابِ ...
... مرتين

بكل عمقها الكئيب الساذجِ المقرورِ

أن يلدَ الآهةَ ... مرتين

خالصةً بلا سرورِ

وأن يحسَّ ذلكَ الشيءَ الحزينِ جَسْتَيْنِ

لكي يرى فجاءتَه

ويستبين وجههُ ومشيتهُ

لو اتكأتَ أيها الشيءُ الحزينُ مرةً على مرافئِ العيونِ

لو ركبكَ المسافرونَ ...

... ينزلون

موت فلاح

لم يَكْ يوماً مثلنا يستعجل الموت
لأنه كل صباحٍ ، كان يصنعُ الحياة في التراب
ولم يكنْ كدأبنا يلغظ بالفلسفة الميتة
لأنه لا يجد الوقت
فلم يُمِيلْ للشمسِ رأسهُ الشَّقِيلَ بالعذاب
والصخرةُ السمراءُ ظَلَّتْ بين منكبيه ثابتة
كانت له عمامةٌ عريضةٌ تعلوه
وقامةٌ مديدةٌ كأنها وثنٌ
ولحيةٌ ، الملحُ والفلفلُ ، لونها
ووجههُ مثلُ أديمِ الأرضِ مجدورُ

لكنه ، والموتُ مقدورُ ،
 قضى ظهيرةَ النهارِ ، والترابُ في يده
 والماءُ يُجْري بين أقدامه
 وعندما جاءَ ملاكُ الموتِ يَدْعُوهُ
 لوّن بالدهشةِ عيناَ وفسا
 واستغفر الله
 ثم ارتقى ...
 والفأسُ والدرّةُ في جانبهِ تَكَوّمَا
 وجاءَ أهلهُ ، وأسبلوا جفونَه
 وكفّوا جثمانَه ، وقبّلوا جبينه
 وغيبوهُ في الترابِ ، في منخفض الرمالِ
 وحدقوا إلى الحقول في سكينه
 وأرسلوا تنهيدةً قصيرةً ... قصيره
 ثم مضوا الرحلةَ يخوضها بقريتي الصغيره
 ن أول الدهرِ ، الرجالُ
 من أول الزمانِ ...
 حتى الموتِ في الظهيرة ...

كلمات لا تعرف السعادة

ما يولد في الظلمات يفاجئه النورُ
فيعرّيه
لا يحيا حبٌ غوّارٌ في بطن الشك أو التمويه
لا يقتاتُ الإنسانُ فم الجرحِ الصديانِ ...
... ويلتذُّ
لا توضع كفٌ في نارٍ ... لا تهتزُّ
أشباح الماضي بشسّ الرؤيا حينَ تجهنمها الغَيْرُ
فإذا لاقى قلبانِ ثقيلانِ الدنيا
ظنًا ما مات يكفّنُ في الكلماتِ الحلوه
في الألفاظِ البيضِ المجلوّةِ

في العهدِ المسبَلِ فوقَ الأَمْسِ
ودونِ اليومِ ، وحولِ الذكْرِي
وَوَهْمًا وَوَهْمًا ... قالا للنسيانِ
يا نسيانُ ،

اجمعِ ذكْرانا ، واقذفها في البحرِ
يا نسيانُ ، اجعلِ ماضينا من أصدافِ ،
مستقبلنا من تبرِ

فهما قلبانِ ، وإن فرحا بالعمرِ شقيانِ
عشنا ، عشنا

في مضجعنا مما عشناه نخبّي جزءاً ...
نكشفُ جزءاً
لو أفلّتَ حلقاتنا

لو قلّنا مما خبّأنا شيئاً

لتفرقنا

لتفرق قلبانا ، وصرّخنا نأياً ، نأياً

لتبتت في عينيّنا رؤياً

أشباح الماضي حين تجهنمها الغيره

لو كنا نملك شيئاً غير الحب لبعثرناه

فوق رؤوسِ الأحبابِ

لو قلبانا من ذهبٍ مكنوزٍ خلفَ جدار

لكشفناه

وملأنا راحاتِ الأحبابِ

لو قلبانا زادٌ من تمرٍ ومَعِينِ أوقدنا النار

وجمعنا الأحبابِ

لو كنا نعرفُ أن نفرحَ فرحةَ طفلٍ غفلِ القلبِ

عرف الدنيا حُباً ينمو في ظلّةِ حب

لأذبنا الفرحةَ في أكوابِ الأحبابِ

لكننا حين ضحكنا أمس مساءً

رنتُ في ذيل الضحكاتِ

نبراتُ بكاءٍ

واتكأت في عينيّ دميّعات
أغفّت زَمناً في استيحاء
كانت عيناك تقولان لقلبي ولعينيّته
الجرحُ هنا ، لكنني أخفيه
وأداريه
لكن ما يولدُ في الظلّلماتِ يُفاجئُهُ النورُ
فيعبريه

لو كنا نملكُ أن نتمنى ... ثم نجابُ
ونعود لنولد ثانيةً ... أحبابُ
نلقى الحبّ جديداً غصاً
لم يعرفْ قلبانا من قبلِ لقانا خفقاً
لم تلمسْ كفٌ ساخنةً شفةً منا أو عرقاً
لو كنا نملكُ أن نحيا في قصانِ الغيبِ المسدلةِ الأكامِ
حتى تُدنيننا الأيامُ
لو كنا نملكُ ما خَطَرَتْ في عينينا رؤيا

أشباح الماضي حين تجهنمها الغيره
لو كنا نملكُ

... ما ناشدنا النسيانُ

الإلفاظ

فليعبثْ حلقكِ بالألفاظِ ، الألفاظُ (هواء)
من يمسه أو يمسه .. تلك الألفاظُ الجوفاءُ
لكنْ هذي الألفاظُ تهب هبوب الريح على وجهي
آناً تُدْفيني الألفاظُ الحرّى
وتُفَقِّفني الألفاظُ الباردة الرعاءُ

لفظٌ حالمٌ
قد يولدُ في ليلٍ ناعمٍ
في حضن النيلِ الباسمِ

لفظ مصمتٌ

وأكاد أصيح بقائله : أصمت

فالجرح تدغدغه الألفاظ

لفظٌ قاتلٌ

ذو ألف لسانٍ تنفث سما

أو لفظٌ يُرديني .. لا قطرةٌ دم

والسكينُ الألفاظُ تشق اللحمُ

وأظل أسائلُ : ماذا تعني في خاطرِكَ الألفاظُ

ألفاظُ قاتلةٌ في رفقٍ ، خالصةٌ الكفين من الدم

أشياءٌ تافهةٌ هي عندكِ ... ألفاظُ

كفسي ، كفسي ، إن الألفاظَ ثمارُ الأشجارِ

أبهي ما تحملُ من نوارِ

وكما أن الشجرَ الطيبُ

يعطي ثمرأ طيبُ

فالإنسانُ الطيبُ

لا ينطق إلا اللفظ الطيب
يا سيدتي ، يا نبت الصحراء الجرداء
فلتقتصدي ، فلتقتصدي في الألفاظ
الألفاظ الجوفاء ...

أغنية خضراء

فيروزه
يا خضراء العنين
يا حبي ..!
لِمَ لا ترَضَيْنُ
وكانَ علينا قد خطَّتْ أقدارُ
وكانَ الغربةَ ميقاتُ لا بُدَّ نؤديه
أنْ نضربَ أعواماً في التيه
أنْ نَعْبُدَ أصناماً مكذوبه
ونجدفَ بالقلبين ، وقد خاضا للحب
صحراءَ الشوقِ ... رهيبه

يا فيروزه

في ظل الليل نثرتُ العمرَ نثِارا

أياماً جائعةً ... دارا

وليليّ مثقلةً أوزارا

أو أفكاراً

وصُباتٍ من كأسِ الحبِّ جَرَعْتُ على غصته

كم من شفةٍ حمراءِ الظلِّ

سوداءِ القلبِ على غلِّ

أو عينٍ تَبَحْثُ في رُوحِي عن سري

عن كنزٍ غافٍ في صدري

لتبعثه أخبارا

أو تحرقه ناراً تتدفقا

في شعلتها أيامٌ باردة ... جوفاً ...

أنا مصلوب ، والحب صليبي

وحملتُ عن الناسِ الاحزانُ

في حبِّ إله مكذوبِ

لَمْ يَسْلَمْ لِي مِنْ سَعْيِي الْخَاسِرِ إِلَّا الشَّعْرُ
كَلِمَاتِ الشَّعْرِ

عَاشَتْ لِتُهْدِدَنِي

لَأَفِرَّ إِلَيْهَا مِنْ صَخَبِ الْإِيْتَامِ الْمُضْنِي

إِنْ تَجَفُّ فَجَفْوَةٌ إِذْ لَالٍ لَا إِذْ لَالٍ

أَوْ تَحْنُ ، فَيَا فَرَّحِي غَرْدُ ، يَا نِعْمَةَ أَيَّامِي عَوْدِي

يَا فَيروزه

يَا أَصْحَابِي ! يَا أَحْبَابِي

حَيُّوا مَوْلَايَ الشَّعْرُ

سَلِمْتَ لِي - مِنْ عُقْبِي أَيَّامِي - الْكَلِمَاتُ

وَفَدَا فِي لَيْلَةٍ صَيْفُ

وَلَجَا مِنْ بَابِ الْقَلْبِ كَمَا يَلْجُ الضَّيْفُ

كَانَا بَسَامَيْنِ

صَنَعَا إِيمَاءَ نُبُلٍ

قَالَا لِلْقَلْبِ : سَعِدْتَ مَسَاءً يَا قَلْبُ

وتقدّمَ هذا المحبوبُ .. الحُب
ورمى في قلبي فيرؤزه
خضراءَ بلونِ الآمالِ
وأشارَ .. وقالُ
قم يا شادي ... غرّدْ ... بارِكْ للحبِّ
كرّسْ هذا الاسمَ العذبَ
وتقدّمَ هذا المحبوبُ ... الشعرِ
وبإصبعه فكّ الختمَ وافشى السرَّ
أنشأتُ أغرّدُ في صوتِ بالدّمعةِ رطبِ
لليلةِ ، وللفجرِ الغافي بالبابِ
ولأصحابي
للعينين الخضراوين
للملكينِ
خرجا من داري مُعتنِقينِ سعيدينِ
في الليل دعوتُ بقلبٍ مكروبِ

فليشملي ظلّ العينينِ الحَضراوين
ولتخضرّ الكلماتُ بروحي
ولترقُدْ ليلائي في بَحرِ السَعْدِ الأَخْضَرِ
ولتورقْ خضراءِ الأصباحِ
خضراءَ بلونِ الفيروزه

يا فيروزه
إني ألقيتُ الحِمْلَ على البابِ الأَخْضَرِ
وشفيعايَ المَلِكِ المَحبوبانِ
لكنّ البابَ يَصُدُّ صدوداً مُرّاً
وأظلّ على الأبوابِ طريحاً مجروحاً
يا حيي ..!
الدربُ مَضَلَّتْ
والطرقُ على الأبوابِ مَذَلَّتْ
يا حيي ،
فلتفتحْ لي الأبوابُ ،

... فقد أقصاني الحُجَّابُ
ومكاني لم يملأه غيري إنسانُ
يا حُبِّي ...
فلتفتح لي الأبوابُ ،
أنا الشادي الفارسُ
أشعاري وردُ البستانِ
سمرُ الركبانِ على الوديانِ
وأنا من فتيانِ القريةِ
أوفاهمُ في الحبِ
وشجاعةُ قلبي مرويةُ
يا حُبِّي ، فلتفتح لي الأبوابُ
إني أخشى هذا الليلُ
يتحدّر من خلفِ الأفقِ النائي كالسَيْلِ
يا حيي ، قولي للحُجَّابِ
فلتفتح لي الأبوابُ ،
أنا الشادي الإنسانُ

قالت

قالت ...

لا يولدُ إنسانانِ على قدرٍ إلا التقيا

فمتى ألقاهُ ؟

أيامي موحشةٌ ، ولياليٌ تُؤانسُها الآهُ

قالت ...

إني أنظرُ في أحداقِ الناسِ وفي شفَتَيْهِمْ

أتملأه ...

ووجدتهمو أغراباً عن روحي ، وأخو الروحِ بعيدٌ

ما أقساهُ

قالت ...

في ذات مساء سوف يُهَلُّ على 'دنياي ...
أنا 'دنياه
سيمدّ إليّ يَدَيْهِ ، ويناديني ، وسأعرفه
وسأخطُرُ في يَمَناه

يا أختي ، أنا قد أنفقتُ الأيامَ أحاورُها وأداجيها
وكانَ اللهُ
لم تَنسِجْ كفتاهُ لقلبي قدرِي الإنسانَ ... اللهُ
ينسانا يا أختاهُ ...

هل كان حباً

هل كان ما بيننا
حباً ... وعشناه
أم كان 'حلماً' ... عندما
أدركنا الصبحُ نسيئناه
أم أننا خفنا على قلبينا
وفي ثرى الخوفِ دَفَّناهُ
لو عاش ، لو فتحتْ للشمسِ عَيْنَاهُ
كنا رَعَيْنَاهُ
لما تركناه
في مهمهٍ قاسٍ رَمَيْنَاهُ

في قلبه أنفاسه تبكي
أنا هجرناه
يا أيها الحب الذي مات
لو يرجع اليوم الذي فات
لو عاد يوم منك ...
عشناه ...

العائد

طفلنا الأوّلُ قد عادَ إلينا
بعد أن تاهَ عن البيتِ سنينا
عاد خجلانَ ... حياءَ ... وحزينا
فتلمسنا بكفٍ نبَضَتْ فيها عروقُ الرِّعْشَةِ الأولى الجبينا
وتعرّفنا عليه
وبكى لما بكينا في يَدَيْهِ
وارتمى بين ذراعينا ، وأغفى مطمئناً ، وغفوّنا
وتكسرنا على عَيْنِيهِ ظِلًّا
وتهدجنا على مبسمه المزمومِ - أنفاساً نديّاتٍ
... وطلًّا

واستدّرنا حوله
شفقاً أسمرَ من حولِ هلالِ نائمٍ في قلبنا

كان طفلاً عندما فرّ عن البيتِ وولّى
من سنينِ عشرةٍ ، ذات مساء ، كان طفلاً
وافتقدناه ، وناديناهُ في أحلامنا
وانتظرنا خطوهُ المُخَضَّرَ في كلِّ ربيعٍ
وشكونا جرحهُ خِلانَتنا
وتسليتنا بكأسٍ مرةٍ من ياسنا
وتناسيناهُ إلا رِغْدَةً تَجْتاحُنَا أوّلَ أيامِ الربيعِ
عندما نشعر بالشوقِ إلى طفلٍ وديعٍ
عندما تلقى بنا وحدثنا في وهَمِنَا
عندما يعصُرُ قلبينا ضنّىً مُرّاً وجوعاً للفرحِ
لائبٌ يسألُ عن فرحتنا

نعمتْ، بين الليالي ليلةٌ عادَ إلينا في دُجاها

و تعرّفنا عليه
وبكى لما بكينا 'ذلتنا عشر سنين في يديه
ذلتنا عشر سنين ، شيبت منا الجباه
جعلت منا عبداً للأسى
وهو ما زال صغيراً ، وإلها

نحن لم ننس ، ولكن طول الجرح يغري بالتناسي
عندما يخلع صيف ثوبه بعد شتاء مكفهر الوجه قاس
وعلى عقبهما يأتي خريف مجذب دون نداوه
وتعري كفه العالم من كل بهاء وحلاوه
عندما ينقلب التندكار عبثاً وعذاباً وقصوراً
وبكاء أخرس النبرة وحشيتاً ضريراً
عندما يلجئنا الحزن إلى بطن جدار
ليستقي فوقنا مثل تراب الموت زهرة
زهرة مية طال عليها الاحتضار
لا نرى إلا التناسي مهرباً من موتنا

موتنا القادمِ في ضوءِ النهارِ

قل لنا ، يا أيها العائدُ ... من أيّ طريقٍ جئنا
أي كَفٍ مَسَّحَتِكَ
وعلى بحر اللبالي حَمَلَتِكَ
نحونا

بعد أنْ شلناك حزناً هادئاً في جفنا
وحملناك أسيّ في صوتنا
ومشينا بك في أعصابنا خطأً ثقيلًا
وبكيناك - بلا دمعٍ - طويلاً
ويئسنا منكَ يأساً كبيرائياً نبيلًا

قل لنا يا أيها العائد في أيّ سحابه
خزنتك النعمةُ الكبرى لنا
لتروني مَغْرِبَ العمر لشيخيك هنا
قل لنا يا أيها العائد هل أنتَ مقيمٌ بيننا

واتئد يا طفلنا الأوحـد ...
فالـدنيا عقيمٌ وعجوزٌ
لم يعد غيرك في الدنيا ... لنا

ثلاث صور من غزوة

- ١ -

لم يكُ في عيونِهِ وصوته ألمٌ
لأنه أحسَّ سنه

ولا كَهْ . . . استنشقه سنه

وشاله في قلبِهِ سنه

وطالت السنون أزمينته

فأصبحت آلامه - في صدرِهِ - حقدًا

بل أملًا ينتظر الغدا

- ٢ -

يا أيها الصغارُ
عيونُكُمُ تحرقني بنارُ
تسألني أعماقُها عن مطلعِ النهارُ
عن عودةٍ إلى الديارُ
أقول ... يا صغارُ
لننتظر غداً
لوضاع منا الغد ، يا صغارُ ...
ضاعَ عمرُنا سدى

- ٣ -

كانت له أرض وزيتونه
وكرمةٌ ، وساحةٌ ، ودارُ
وعندما أوفت به سفائنُ العمرِ إلى شواطئ السكينة
وخطَّ قبره على ذرى التلال
انطلقت كتائبُ التتارُ

تذودُهُ عن أَرْضِهِ الْحَزِينَةِ

لكنَّهُ خَلْفَ سِيَاجِ الشُّوكِ وَالصَّبَّارِ ظِلِّ وَاقْفَاءٍ ...
بِلا مَلال

يَرْفُضُ أَنْ يَمُوتَ قَبْلَ يَوْمِ تَارِ
يَا حُلْمَ يَوْمِ التَّارِ

أبو تمام

« في مهرجان أبي تمام ١٩٦١ »

الصوتُ الصارخُ في عموريه
لم يَذْهَبْ في البرِّيَّةِ
سيفُ « البغدادي » الثائرُ
شقَّ الصَّحْرَاءَ إليه ... لبَّاهُ
حين دَعَتْ أختُ عربيَّةِ
وامعتصماه
لكنَّ الصوتَ الصارخَ في طَبْرِيَّةِ
لبَّاهُ مؤتمرانُ

لكنّ الصوتَ الصارخَ في وهران
لَبَّتَهُ الأحرانُ
يا سيفَ المعتصمِ الثائرِ
اخلعِ غمدَ سحابِكَ ، وانزِلِ في قلبِ الظُلْمَةِ
شقَّ العتْمَةِ
واضربِ يمني في طبريّه
واضربِ يُسرى في وهران

في موعد تَدْ كاركِ يا جدُّ
يلقى الأبناءُ الأبناءُ
يتعاطونَ أفاويقَ الأنبياءِ
والسيفُ المغمدُ في صدرِ الأختِ العربيّه
ما زال يشقُّ النهدينِ
وأبو تمامِ الجدِّ حزينٌ لا يترنمُ
قد قال لنا ما لم نفهمُ
والسيفُ الصادقُ في الغمدِ طويناه

وَقَنَعْنَا بِالْكُتُبِ الْمَرْوِيَّةِ

يَوْمُكَ لَا يَسْقِينَا فَرَحًا

أَوْ يَسْقِيكَ رِضًا

التذكارُ ثقيلٌ حين حملناه

ندماً

والحسرةُ في وجهك بعدَ الأعوامِ ... الأغوامُ

صارتُ المأنا

ولقاءُ الجدِّ أبي تمام

عيدٌ للأحزانِ المورقةِ الأكنامِ

عيدُ تعلاتٍ وكلامٍ

عيدِ دما

تطلبُ سقياها ، فتُجابُ ظها ...

أحبك

لا ، لا تنطق الكلمة
دعها يجوفِ الصدرِ منبهمه
دعها مغنمةً على الخلق
دعها ممزقةً على الشدقِ
دعها مُقطّعةً الأوصالِ سرّيه
لا تجمعِ الكلمة ...
دعها رماديه
فاللون في الكلماتِ ضيّعنا
دعها غماميه
فالخصبُ شرّ دنا وجوّعنا

دعها سديمه
فالشكّلُ في الكلماتِ توّهنا
دعها 'تراينه'
لا تلقِ نبضَ الروحِ في كليمه

كم مرةٍ جاشتِ بيَ الكليمه
وبدّتْ لعيني ، وهي تستأني
فوقَ الشفاهِ رقيقهً 'تخني'
جيداً ، وتستدني
خديّين مضمومينِ في بسّمه
وتكادُ تغلبيني على قصدي
لأقولَ ما أعني
وأفكّ طلسمي ، وأجمعَ من
حلقي الشباكَ لتفلمتَ الكلمه
وأعودُ أذكُرُ مرةً سلّفتُ
عامين من بأسائها اغترفَتُ

روحي الكتومُ لأنها اعترفتُ
وسقطتُ تحتَ سنابكِ الكلمةِ

لا ، لا تنطقِ الكلمةِ ...

حتى ولو ماجتُ بوجهِ النيلِ
أنسامُ ليلةِ صيفِ

حتى ولو رَفَتِ على أرغولِ
محرورةٍ ، نَعْمَةً

حتى ولو في الرملِ خطَّ الإلفِ
حرفينِ مَلوِيَّينِ

حتى ولو طالعتَ في عينيه ... في العُمَقَيْنِ

قَسَمَاتِكَ المَحمومةِ الشَفَتَيْنِ

وتَسَاءَلتُ شفتاكِ ... ما كَلِمَةٌ ؟

تُهَدِي لحدِ بِاسْمِ ... نِعْمَةً

وتَنَامُ في كَفَيْنِ ممدودينِ

وتَطوِّفُ أنفاساً على نَهْدَيْنِ

ما أجملَ الكَلِمَةَ ..!

ها قد نَسِيتَ حَيَاتِكَ الأولى
والجرحَ والذَّلَّةَ

ها قد جَمَعْتَ الحَرْفَ جَنْبَ الحَرْفِ والحَرْفَيْنِ

لَمَعْتَ بِشَيْءٍ دَافِيٍّ مَقْلَهُ

وَتَمَدَّدَ الإِعْيَاءُ فِي الشَّفَتَيْنِ

وَعَدَا جَسُورٌ كَانَ مَغْلُولًا

وَسَقَطَتْ تَحْتَ سَنَابِيكِ الكَلِمَةَ ..

الظل والصليب

- ١ -

هذا زمانُ السَّامِ
نفخُ الأراجيلِ سَامُ
دبيبُ فخذِ امرأةٍ ما بينَ إليتي رَجُلُ ...
سَامُ
لا عمقَ للألمِ
لأنه كالزيتِ فوقَ صفحةِ السَّامِ
لأطعمَ للندَمِ
لأنهم لا يَحْمِلونَ الوزَرَ إلا لحظةً ...
ويهبطُ السَّامُ

يَفْسِلُهُمْ مِنْ رَأْسِهِمْ إِلَى الْقَدَمِ
طَهَارَةٌ بِيضَاءَ تَنْبَتُ الْقُبُورَ فِي مَغَاوِرِ التَّنَدِمِ
تَدْفِنُ فِيهَا جُثَثُ الْأَفْكَارِ وَالْأَحْزَانِ ، مِنْ
تُرَابِهَا ...

يَقُومُ هَيْكَلُ الْإِنْسَانِ
إِنْسَانٌ هَذَا الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ
« أَنَا رَجَعْتُ مِنْ بَحَارِ الْفِكْرِ دُونَ فِكْرِ
قَابِلِنِي الْفِكْرِ ، وَلَكِنِّي رَجَعْتُ دُونَ فِكْرِ
أَنَا رَجَعْتُ مِنْ بَحَارِ الْمَوْتِ دُونَ مَوْتِ
حِينَ أَتَانِي الْمَوْتُ ، لَمْ يَجِدْ لَدَيْ مَا يُمِيتُهُ ،
وَعُدْتُ دُونَ مَوْتِ

أَنَا الَّذِي أَحْيَا بِلَا أُبْعَادِ
أَنَا الَّذِي أَحْيَا بِلَا أَمَادِ
أَنَا الَّذِي أَحْيَا بِلَا أَمْجَادِ
أَنَا الَّذِي أَحْيَا بِلَا ظِلِّ ... بِلَا صَلِيبِ
الظِّلِّ لَصِّ يَسْرِقُ السَّعَادَةَ

وَمَنْ يَعِشْ بِظِلِّهِ يَمْشِي إِلَى الصَّلِيبِ ، فِي نَهَائَةِ
الطَّرِيقِ

يَصْلِبُهُ حُزْنُهُ ، تَسْمَلُ عَيْنَاهُ بِلَا بَرِيقِ
يَا شَجَرَ الصَّفصَافِ : إِنَّ أَلْفَ غُصْنٍ مِنْ غُصُونِكَ
الكَثِيفِ

تَنَبْتُ فِي الصَّحْرَاءِ لَوْ سَكَبْتُ دُمْعَتَيْنِ
تَصْلِبُنِي يَا شَجَرَ الصَّفصَافِ لَوْ فَكَرَّتْ
تَصْلِبُنِي يَا شَجَرَ الصَّفصَافِ لَوْ ذَكَرَّتْ
تَصْلِبُنِي يَا شَجَرَ الصَّفصَافِ لَوْ حَمَلْتُ ظِلِّي فَوْقَ
كِتْفِي ، وَأَنْطَلَقْتُ

وَأَنْكَسَرْتُ

أَوْ أَنْتَصَرْتُ

إِنْسَانُ هَذَا الْعَصْرِ سَيِّدُ الْحَيَاةِ

لأنه يعيشها سَام ...

يَزْنِي بِهَا سَام ...

يَمُوتُهَا سَام ...

- ٢ -

قَلْتُمْ لِي :

لَا تَدُسُّسْ أَنْفَكَ فِيمَا يَعْنِي جَارَكَ
لَكِنِّي أَسْأَلُكُمْ أَنْ تَعْطُونِي أَنْفِي
وَجْهِي فِي مِرْآئِي مَجْدُوعُ الْأَنْفِ

- ٣ -

مَلَا حُنَّا يَنْتِفِ شَعْرَ الذَّقَنِ فِي جُنُونِ
يَدْعُو إِلَهَ النِّعْمَةِ الْمَجْنُونِ أَنْ يَلِينَ قَلْبَهُ ، وَلَا يَلِينِ
« يَنْشُدُهُ أَبْنَاءَهُ وَأَهْلَهُ الْأَدْنَيْنِ ، وَالْوَسَادَةَ الَّتِي
لَمَى عَلَيْهَا فَخَذَتْ زَوْجِيهِ ، أَوْلَدَهَا مُحَمَّدًا وَأَحْمَدًا
وَسِيدًا
وَخَضِرَةَ الْبَكْرَ الَّتِي لَمْ يَفْتَرِعْ حِجَابَهَا إِنْسٌ
وَلَا شَيْطَانٌ ،
« يَدْعُو إِلَهَ النِّعْمَةِ الْأَمِينِ أَنْ يَرْعَاهُ حَتَّى يَقْضِيَ
الصَّلَاةَ ،

حتى يؤتي الزكاة ، حتى يَنْحَرَ القربان ، حتى يبتني
 بجرّ ماله كنيسةً ومسجداً وخان ،
 للفقراء التاعسين من صعاليك الزمان
 ملاحنا يلوي أصابعاً خطاطيفاً على المجدافِ والسكان
 ملاحنا هوى إلى قاع السفين ، واستكان
 وجاش بالبكا بلا دمعٍ ... بلا لسان
 ملاحنا مات قبيل الموت ، حين ودّع الأصحاب
 ... والأحباب والزمان والمكان
 عادت إلى ققمها حياته ، وانكمرشت أعضاؤه ، ومال
 ومدّ جسمه على خطّ الزوال
 يا شينخنا الملاح ...
 .. قلبك الجريء كان ثابتاً فما له استطيع
 أشار بالأصابع الملوّية الأعناق نحو المشرق البعيد ...
 ثم قال :
 - هذي جبال الملح والقصدير
 فكلّ مَرَكَبٍ تجيئها تدور

تَحْطُمُهَا الصُّخُورُ

وانكبتا .. نَدْنُو مِنَ الْمَحْظُورِ ، لَنْ يُفَلْتِنَا الْمَحْظُورُ

- هَذِي إِذْنُ جِبَالِ الْمَلْحِ وَالْقَصْدِيرِ

وَأَفْرَحًا .. نَعِيشُ فِي مَشَارِفِ الْمَحْظُورِ

مَوْتُ بَعْدَ أَنْ نَذُوقَ لِحْظَةَ الرَّعْبِ الْمَرِيرِ وَالتَّوَقُّعِ الْمَرِيرِ

وَبَعْدَ آلَافِ اللَّيَالِي مِنْ زَمَانِنَا الضَّرِيرِ

مَضَّتْ ثَقِيلَاتِ الْخَطِيءِ عَلَى عَصَا التَّدَبُّرِ الْبَصِيرِ

مَلَّاحِنًا أَسْلَمَ سُورَ الرُّوحِ قَبْلَ أَنْ نُتْلِمِسَ الْجَبَلِ

وَطَارَ قَلْبُهُ مِنَ الْوَجَلِ

كَانَ سَلِيمَ الْجِسْمِ ، دُونَ جَرْحٍ ، دُونَ خَدَشٍ ، دُونَ دَمٍ

حِينَ هَوَتْ جِبَالُنَا بِجِسْمِهِ الضَّمِيلِ نَحْوَ الْقَاعِ

وَلَمْ يَعِشْ لِيَنْتَصِرْ

وَلَمْ يَعِشْ لِيَنْهَزِمَ

مَلَّاحٌ هَذَا الْعَصْرِ سَيِّدَ الْبِحَارِ

لَأَنَّهُ يَعِيشُ دُونَ أَنْ يُرِيقَ نَقْطَةً مِنْ دَمٍ

لَأَنَّهُ يَمُوتُ قَبْلَ أَنْ يَصَارَعَ التِّيَّارَ

هذا زمنُ الحقِّ الضائع
لا يعرفُ فيه مقتولٌ من قاتلِهِ ومقْتلَهُ
ورؤوسُ الناسِ على جثثِ الحيوانات
ورؤوسُ الحيواناتِ على جثثِ الناسِ
فتحسسْ رأسك !
فتحسسْ رأسك !

أَقُولُ لَكُمْ

١ - من أنا

سأحكي حكمتي للناس ، للأصحاب ، للتاريخ ، إن أذنت
مسامعه الجليلة لي ، فإن طابت وإن حسنت
سيفرح قلبي المملوء بالحب ، يفيض القلب
إذا ما أغفت الكلمات في الأسماع هائلة
منداةً بعطر الحب

إذا ما صادفت كلماتنا - الشعراء - شعراً في مسامعكم
إذا ما قال قائلكم

وراء الكلمة المهموسة الترجيع قلب عاشق
وإنسان أحب ، ووجه غانية ، وكأس مر
وحفنة بر

وَسَعْفِيٌّ فِي فِجَاجِ الْأَرْضِ يَا أَصْحَابَ

وَأَعْلَمُ أَنْكُمْ كَرَمَاءُ
وَأَنْكُمْ تُحِبُّونَ الْقَرِيضَ وَأَهْلَهُ الشُّعْرَاءُ
وَأَنْكُمْ سَتَغْتَفِرُونَ لِي التَّقْصِيرَ عَنْ سَبْقِ إِلَى تَعْبِيرِ
وَعَنْ تَدْوِيرِ مَا يَمْتَدُّ فِي الدُّنْيَا إِلَى كَلِمَاتٍ
وَعَنْ بَسْطِ الَّذِي يَلْتَفُّ فِي نَفْسِي إِلَى كَلِمَاتٍ
وَعَنْ تَنْغِيمِ هَذَا الزَّمَنِ الْمَوْحِشِ مُوسِيقَى
وَعَنْ وَحْشَةِ مُوسِيقَى السَّمَاءِ بِقَلْبِي الْمَوْحِشِ

وَأَعْلَمُ أَنْكُمْ كَرَمَاءُ
وَأَنْكُمْ سَتَغْتَفِرُونَ لِي التَّقْصِيرَ ... مَا كُنْتُ أَبَا الطَّيِّبِ
وَلَمْ أَوْهَبْ كَهَذَا الْفَارِسِ الْعَمَلِاقِ أَنْ أَقْتَنَصَ الْمَعْنَى
وَلَسْتُ أَنَا الْحَكِيمَ رَهِينَ مَحْبَسِهِ بِلَا أَرْبٍ
لَأَنِّي لَوْ قَعَدْتُ بِمَحْبَسِي لِقَضَيْتُ مِنْ سَفَبٍ
وَلَسْتُ أَنَا الْأَمِيرَ يَعِيشُ فِي قَصْرِ بِحُضْنِ النَّيْلِ

يناغيه 'مغنييه'
وملعة "من الذَّهَبِ الصَّرِيحِ تَطْلُ" من فيه
ولكني تعذبت لكي أعرفَ معنى الحرفِ
ومعنى الحرفِ إذ يجمعُ جنبَ الحرفِ
ولكني تعذبت لكي أحتالَ للمعنى
لكي أملكَ في حوزتي المعنى مع المبنى
لكي اسمعكم صوتي في مجتمع الأصوات

وقفتُ أمامكم ورفعتُ كفتي قائلاً .. هيا
هنا إنسان ...

يريدُ يديرُ في فكَّيهِ ألفظاً يدخرُجُها إلى الانسان
لتصنع نعمةً في القلبِ أو فرحاً
تكونُ مجنَّ من جرحاً
وسهماً في حشا القاسمي الذي جرحاً

وقفتُ أمامكم بالسوقِ يا أهلي ... أنا ابنكمو الذي ...

... من حجرٍ نُقِرَا

وأعلى فوقه البَنَاءُ

بناءً زاهيَ الطلعة

مربعةً جوانبه ، ومَطلِيًا بِناء السَعْدِ

لكي تأوي له أحلامكم ، والدفء ، والزوجات ، والأبناء

شفيعي أنتمو للشيخ ، هذا الأبدِ المرهوب

لكي يحفظ في واعية الأيام ...

... إسمًا ساذجًا للغاية

يجنبِ الفارسِ العملاقِ ،

والشيخِ الضريرِ ،

وحاملِ الراية ...

٢ - الحب

لأنّ الحبّ مثل الشعرِ ... ميلادٌ بلا حُسابِ
لأنّ الحبّ مثل الشعرِ ، ما باحت به الشفتانُ
بغير أوّانِ

لأنّ الحبّ قهارٌ كمثلِ الشعرِ
يرفرِف في فضاءِ الكونِ ... لا تَعْنُو لَهُ جَبْهَةٌ
وتعْنُو جَبْهَةُ الإنسانِ

أحدثكم - بدايةً ما أحدثكم - عن الحبِ
حديثُ الحبِّ يوجِعُنِي وَيُطْرِبُنِي وَيُشْجِيئُنِي
ولما كانَ خَفِيقُ الحبِّ في قلبي هو النجوى بلا صاحبِ
حملتُ الحبَّ في قلبي ، فأوجَعَنِي ، فأوجَعَنِي

ولما كان خفقُ الحبِّ في قلبي هو الشكوى إلى الصاحب
شكوتُ الحبِّ للأصحابِ والدنيا ، فأوجعني
ولما صارَ خفقُ الحبِّ في قلبي هو السكوى
لأيامِ بلا طعمٍ ، وأشباحِ بلا صورة
وأمنيةٍ مجنحةٍ يحوفُ النفسِ مكسورة
حملتُ الحبَّ للمحبوبِ ، ثم دنوتُ من قلبه
وقلتُ له : أتيتك ... لا كبيرَ النفسِ ، لا تيباهُ
ولا في الكمِ جوهرةٌ ، ولا في الصدرِ وشجنتُ
ولكنني إنسانٌ فقيرُ الجيبِ والفظنة
ومثل الناسِ أبحثُ عن طعامي في فجاجِ الأرض
وعن كوخٍ وإنسانٍ ليستسرَّ ما تعريبتُ
وحين أدارَ لي وجهاً شريفَ اللحمِ والصورة
تغنيتُ ... تغنيتُ :

أغنيةً لقدَّ محبوبي
أغنيةً لوجهه الجميل
أغنيةً لشعره الذهبي

أغنيةً لحدّه الأسيل
لكنني لستُ بموهوبٍ
أنا فتى لا يعرف القليلُ
أنا فتى لا يملك القليلُ
وقالتُ لي : لوجهيَ والهري يا شاعري غنيتُ
فغنّ الآن أغنيةً لقلبكَ أنتُ
أسندتُ عودي إلى الضلوعِ
ورحتُ استقطرُ النغمُ
فأنّ عودي على الضلوعِ
وغمغم الصوتُ ، وانبهم
لحنيي ، فلتسعفُ الدموعُ

وضعتُ العود ، ثم صنعتُ بالكلمات ألحانا
بريئاتٍ كما في القلبِ ...
وقلت لها بأن الحب ما يصنعُ بالانسان انسانا
وأن الحبُ

عندما يصبح إنسان حقيقة

عندما يبحث في ظل العيون السود عن عين صديقه

ويراها ...

عندما يحلم بالبيت ، وبالدفء على مخدع نظره

ويواري خوفه في متكأها

عندما يحلم بالأطفال والنزهة في إصباح جمعه

عندما تمزج في عينيه أسواق ودمعه

عندما يُشرع إنسان لإنسان جناحه

ويناغيه دلالاً وسماحه

عندما يصيب ما مرّ من الأيام محوا

لم يكن حيناً حياة القلب

عندما يصبح كل اللفظ لغوا

غير لفظ الحب

وغمغم الصوت وانبهم

لحني ، فلتسعف الدموع

وأغضت ،

ثم قالت لي ،

لقد طابت بك الأيام ، مرحى بك

عرفت الآن أنك لي ،

وأنتي لك

٣ - الهريفة والمرت

رووا يا صحبتي الأحرارَ فيما حدثوا من قالُ
بأن الطفلَ يولد مثلَ نسَمِ الرِّيحِ
وحين يدبُ فوقَ الأرضِ تُثَقِّلُ ساقَه الأغلالُ
يقيدهُ إلى الدنيا ترابُ شِمَمِ الأجدادِ
وغطُّوا أنفُسَهُمْ فيه ...
ويملك من فضاء الأرض ما تَمَدَّدَ ساقاهُ
وما تَمَسَّكَ يَمناهُ
ويجهدُ ، ثم لا يَسْتَطِيعُ أن يجتارَ ماضيهُ
ولكني أقول لكم بأن القيدَ حريهُ

وَأَن الدَّسَمَ مَأْسُورٌ - وَلَا يَدْرِي - بِإِطْلَاقِهِ
وَأَن الحَرَّ مَن يَمْشِي ثَمِيلًا فَوْقَ ظَهْرِ الأَرْضِ
وَيُحْفِرُ بَطْنَ سَاقِيهِ عَلَى وَجْهِهِ الثَّرَى الجَدْبِ
وَيَنْهَضُ رَغْمَ مَا يَنْدَاحُ فِي الأَعْرَاقِ وَالقَلْبِ
مِنَ الأَحْزَانِ وَالْأَشْوَاقِ وَالْأَمَالِ وَالْحُبِّ
وَقِيلَ لَكُمْ :

بأن حياتكم جسرٌ ، وأن بقاءكم مسطورٌ
خطى تخطى بميماتٍ إلى دارٍ ببابينِ
نطوف بها كومضٍ شعاعةِ العينِ
وأن العاقل المبرورَ من يحيا بلا زادٍ
ليجمع زاد رحلتهِ

لأن وراء هذي الدارِ فيما قد رواه الناسُ
شطوطاً طامياتٍ مَوجُهاً دَيجورُ
ولولا سيفُ نورٍ شقَّ ظلمها
وملاحٌ على مركب
يقول لمن أحثَّ الخَطُوفَ في دهليزها ...

اركب !

ولولا ومضُ مصباحٌ يلوح لمقلة الملاح
لضلَّ الراكبُ في التيهِ سنينِ مئينِ

أقول لكم بأن الزيفَ قد يقفُّ بالفِطنه
وسقطُ القولِ قد يعلو بأجنحةٍ من الترددِ

أقول لكم بأن الكونَ ما كانا
وما ندري بأن سيكونُ

وأن الليلَ والصبحَ قصارانا
ورحلةُ شطِّ دنيانا

وأوجزُ كي أحدثكم
عن الموتى ... بقايانا

● قضي ! قضي !

وعن ديارنا مضي

لو عاشَ كانَ سيّدا

يحمي الحمى المسودا

لكنه انتفضا

ذات مساءٍ مُظلمٍ ، وصعدا

أنفاسَهُ وقضّةً ضا

وانشَرَخَتْ قارورةٌ طَلَّسْنِمُها ما رُصِدا

وعن سريرِ أمِهِ وأختِهِ صَعَدَا

إلى السّما رَ كُضَا

وأنتِ يا أمُّ قنوحينَ سُدَى ...

● قُضتِ ! قُضتِ !

وعن ديارنا مضت

من بعد ما تكوّرَ النهْدُ

وبرعمتْ عليه وردةٌ ، وسالَ شَهِدُ

وازدحم الوفدُ من الخطابِ والأجبابِ في رحابِ ...

دارها ، وحين طارَ نَعْيُها استدارُ

خطابُها وأهلها إلى الجدارِ

لينجروا من الصّخورِ مرَّ كبا

يَمْنَحُرُ بالشَّهْدِ وبالوردِ وبالصبّا

من بعدِ أنْ صارتُ ... هبّا
مربعاتٍ مستطيلاتٍ من الصبا ...

● قضي ! قضي !

وعن ديارنا مضى

من بعد ما اقتنى وشيئدا

وخالَ أن يخلتدا

لم تبقَ منه غيرُ صورةٍ على الجدار

وغصن صبتارٍ على الحجارُ

وقالَ قائلٌ فصيحٌ فوقَ قبرِهِ ...

ودمعهُ مدّرارُ

كان هلالاً ومضاً

ثم قميّراً صعّدا

وصارَ بدراً في السما توَسّطا

ثم هوى في أخرياتِ العمرِ ، في الأسحارُ

إلى عروقِ السماءِ ركّضاً

وأنتمُ يا صبيّةَ الراحلِ تبكونَ سدى

وقفتُ أمامكم بالسوقِ كي أحيأ ، وأحييكمُ
لا أبكي ، وأبكيكمُ
وما غنيتُ بالموتى لأصنعَ من جماجمهم
عمامةً وَعَظُ

فلو عاشَ الذي ماتا
فأين يعيشُ من وُلدا؟
أقول لكم بأن الموتَ مقدورٌ ، وذلك حقٌ
ولكن ليسَ هذا الموتَ حتفَ الأنفِ
تعالوا خيِّروا الأجيالَ أن تختارَ ما تصنعُ
لكي توسعُ
لمن يتبعُ
فلن تختارَ غيرَ الموتِ
وهل من ماتَ لم يترك له رسماً على الجدرانِ
وخطاً فوق ديباجه
وذكرى في حنايا قلبِ
وحفنة طينةٍ خصبه

على وجه الفضاءِ الجذبُ
وما الانسانُ - إن عاشَ ...
وإن ماتَ -
... وما الانسانُ ؟

٤ - « الكلمات »

وقفت أمامكم بالسوق ، لا ثوبي من الديباج
ولم أتقلدُ الشاراتِ ، أو ألتفَّ بالأدراجِ
ولم تعتمَّ مثلَ البرجِ فوقَ التلِّ جُمجمتي
ولم أمسكُ بكفي صولجانَ الحكمِ والمِقودِ
وما السوقُ بيتُ أبي ولا المعبَدُ
حديثي محضُ ألفاظٍ ، ولا أملكُ إلاها
أرقرقها لكم نغمًا ، أجملها أفانينا
أرقرقشها تلاوينا

وللألفاظِ سلطانٌ على الانسانِ
ألم يرووا لكم في السفرِ أن البدءَ يوماً كان ...

- جلّ جلالها - الكلمة

ألم يرووا لكم في السيفر أن الحق قوَالُ
ولكني أقولُ لكم بأن الحق فعَالُ
أقولُ لكم :

بأن الفعل والقول جناحانِ عليّانِ

وأن القلب إن غمغم

وأن الخلق إن همهم

وأن الريح إن نقلت

فقد فعلت ، فقد فعلت !!

كتائبُ فوق طوقِ الحضر مسرجةٌ على الأفراس طوافه

وطوقُ نجامها الكلمات

هـ — « القديس »

إليّ ، إليّ ، يا غرباءُ ، يا فقراءُ ، يا مرضى
كسيري القلبِ والأعضاءِ ، قد أنزلتُ مائدتي
إليّ ، إليّ ،
لنطعمَ كسرةً من حكمةِ الأجيالِ مغموسَةً
بطيشِ زمانِنَا المِمرَّاحِ
نُكسِّرُ ، ثم نَشكُرُ قَلْبِنَا الهادي
ليرسينا على شطِّ اليَقينِ ، فقد أضلَّ العقلُ مَسرانا
إليّ ، إليّ
أنا ، طَوَّفتُ في الأوراقِ سواحاً ، شَبَّا قلمي
حصاني ، بعد أن حملتُ بي الأوهامُ والغفلةُ

سنينَ طوَالَ ، في بطنِ اللجَاجِ ، وظلمةِ المنطِقِ
وكنْتُ إذا أجنَّ الليلُ ، واستخفى الشَّجِيئُونَ
وحَنَّ الصَّدْرُ للمِرفقِ
وداعَبَتِ الخيالاتُ الخَلِينَا
ألوذُ بِرِكنِي العاري ، يجنبِ فتيلي المُرْهَقِ
وأبعثُ من قبورِهِمُ عِظَامًا نَخْرَةً ورؤوسَ
لتجلسَ قِربَ مائدتي ، تبثُّ حديثها الصيَاحَ والمهموسَ
وإنْ مَلَّتْ ، وطالَ الصمتُ ، لا تسعَى بها أقدامُ
وإنْ نُثِرَتْ سِهَامُ الفَجْرِ ، تستخفي كما الأوهامُ
وقالتُ لي :

بأنَّ النَهْرَ ليسَ النهرَ ، والإنسانَ لا الإنسانَ
وأن حفيف هذا النجم موسيقى
وأن حقيقة الدنيا ثوتٌ في كهف
وأن حقيقة الدنيا هي الفلكسان فوق الكف
وأن الله قد خلق الأنامَ ، ونامُ
وأن الله في مِفْتاحِ بابِ البيتِ

ولا تسأل غريقاً كُتبَ في بحرٍ على وجهه
لينفخَ بطنه عُشباً وأصدافاً وأموها
كذلك كنتُ
وذاثَ صباحٍ
رأيتُ حقيقةَ الدنيا
سمعتُ النجمَ والأموهَ والأزهارَ موسيقى
رأيتُ اللهَ في قلبي

لأني حيناً استيقظتُ ذاتَ صباحٍ
رميتُ الكتبَ للنيرانِ ، ثم فتحتُ 'شباكي'
وفي نفسِ الضحى الفواح
خرجتُ لأنظرَ الماشينَ في الطرقاتِ ، والساعينَ للأرزاقِ
وفي ظلِّ الحدائقِ أبصرتُ عيناى أسراباً من العشاقِ
وفي لحظةٍ
شعرتُ يجسميَ الممومَ يَنبِضُ مثلَ قلبِ الشمسِ
شعرتُ بأنني امتلأتُ شِبابِ القلبِ بالحِكمَةِ

شعرتُ بأنني أصبحتُ قديساً
وأن رسالتي ...
هيَ أن أقدمكم

٦ - « السوق والسوق »

هنا في السوق ، يا أصحاب ،
يحيا الحبّ والتّذكارُ

وتولدُ في ظلامِ عِظامِنَا ...
النزعاتُ والأفكارُ

وتمتدّ الرقابُ ... ترى ...
وتوميضُ في الزحامِ عيونُ
وتعتنقُ الجفونَ جفونُ

ونحنُ، وإن غَشِينَا السوقَ وامتزجتْ روائِحُنَا بريحِ الأرضِ

فَمَا التَّفَتُّ عَلَيْهِ ثِيَابُنَا طَهْرٌ وَأَقْدَاسٌ
وَأَعْرَفُ بَعْضَهُمْ يُضْنِيهِ أَنْ يَغْشَى زِحَامَ السُّوقِ
وَلَكِنْ هُمْ ... مِنَ السُّوقَةِ

٧ - « موت الإنسان »

ألا ما أشرفَ الإنسانِ حينَ يُحسّ ثِقَلَ التاجِ في رأسه
وحينَ يحس أن الشمسَ في فؤديه لؤلؤتان
وحفنةُ أنجمٍ نُثرتْ على ترسِه
وأنّ عليه ثوبَ الملكِ سرّبالا
وأنّ الله أوزرتهُ بساطَ الأرضِ
يَشْمُ شذىَ حَفيهِ النَّسَمِ أُميالاَ وأميالا
ويعتنِقُ الوجودَ بِحُبِّ مَلَكٍ لما مَلكا

ألا ما أشرفَ الإنسانَ حينَ يَشْمُ في الإنسانِ
ريحَ اللودِ والآله

ألا ما أشرف الانسان حين يرى بعيني إلفه الانسان
ما يخفي من اللهفة
إلى إنسان

ألا ما أتعسَ الانسان حين يموت في أعماقه الانسان
ألا ما أجملَ الانسان حين يحوسُ في أرضه
يقلِّبُ جَدَّهَا فِي الْحِصْبِ جَذْلَانَا
وَحِينَ يَشْتَقُّ بِالْمِحْرَاثِ مَمْلَكَتَهُ
أَخَادِيداً وَوَدْيَانَا

٨ - « اجأفككم لأعر فكم »

أنا شاعر

ولكن لي بظَهْرِ السوقِ أصحابٌ أخِلَاءُ
وأسمرٌ بينهم بالليلِ أسْتَقِيمُ ويسقوني
تطولُ بنا أحاديثُ الندامى حين يَلْقَوْنِي
على أني سأرجعُ في ظلامِ الليلِ حين يُفَضُّ سامرٌ كم
وحين يَغورُ نَجمُ الشرقِ في بَيْتِ السما الأزرقِ
إلى بيتي
لأرقدَ في سماواتي
وحيداً ... في سماواتي
وأحلمُ بالرجوعِ اليكمُ طلقاً وممتلئاً

بأنغامي ... وأبنياتي

أجافِيكُمْ ... لأعرفكم

أحلام الفارس القديم

أعلام الفارس القديم

معذرةً يا صحبتي ، لم تثمر الأشجارُ هذا العامُ
فجئتكم بأردإ الطعامِ
ولست باخلا ، وإنما فقيرةٌ خزائني
مقفرةٌ حقولُ حنطتي ...

* * *

معذرةً يا صحبتي ، فالضوءُ خافتٌ شحيح
والشمعةُ الوحيدةُ التي وجدتها يجيبُ معطفي
أشعلتها لكم ...
لكنها قديمةٌ معروفةٌ لهيبها دموعٌ

معدرةً يا صحبتي ، قلبي حزينٌ
من أين آتي بالكلامِ الفرحِ

الكراسة الأولى

من أناشيد القرار

الى ن. ي.

اغنية للشتاء

ينبئني شتاءُ هذا العامِ أنني أموتُ وحدي
ذاتَ شتاءٍ مثله ، ذاتَ شتاءٍ
ينبئني هذا المساءُ أنني أموتُ وحدي
ذاتَ مساءٍ مثلهُ ، ذاتَ مساءٍ
وأن أعوامي التي مضت كانت هباءً
وأني أقيمُ في العرَّاءِ
ينبئني شتاءُ هذا العامِ أن داخلي ...
مرتجفٌ برداً
وأن قلبي ميتٌ منذ الخريف ...
قد ذوى حين ذوتُ

أول أوراق الشجر
ثم هوى حين هوت
أول قطرة من المطر

وأن كل ليلة باردة تزيدهُ بعدا
في باطن الحجر

وأن دفء الصيف إن أتى ليوظهُ
فلن يمدُّ من خلال الثلج أذرعهُ
حاملةً وردا

ينبئني شتاءُ هذا العام أن هيكلي مريض
وأن أنفاسي شوكٌ

وأن كل خطوة في وسطها مغامرة
وقد أموتُ قبل أن تلحقَ رجلٌ رجلا

في زحمة المدينة المنهمرة

أموتُ لا يعرفني أحدُ

أموتُ ... لا يبكي أحدُ

وقد يُقالُ ، بينَ صحبي ، في مجامع المسامرهِ

مجلسه كان هنا ، وقد عبر

فيمَنَ عبر ...

يرحمه الله ...

ينبئني شتاء هذا العام أن ما ظننته ...

شفاي كان سمي

وأن هذا الشعر حين هزني أسقطني

ولست أدري منذ كم من السنين قد جرححت

لكنني من يومها ينزف رأسي

الشعر زلتي التي من أجلها هدمت ما بنيت

من أجلها خرجت

من أجلها صلبت

وحينا علقت كان البرد والظلمة والرعد

ترجني خوفا

وحينا ناديته ، لم يستجب

عرفت أنني ضيعت ما أضعت

ينبئني شتاء هذا العام أننا لكي نعيش في الشتاء

لا بدّ أن نَخزِنَ من حرارةِ الصيفِ وذكرياتهِ ..
دِفئًا

لكنني بعثتُ كالسفيهِ في مطالعِ الخريفِ
كلِ غِلايِ ، كلِ حنطتي وحبّتي
كان جزائي أن يقولَ لي الشتاءُ أنني :
ذاتَ شتاءٍ مثلهُ ...
أموتُ وحدي
ذاتَ شتاءٍ مثلهُ ، أموتُ وحدي

أغنية للقاهرة

« بعد شهر من التجوال »

لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي حَجَّيْ وَمَبْكِيَا
لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي أَسَايَا
وَحِينَ رَأَيْتُ مِنْ خِلَالِ ظِلْمَةِ الْمَطَارِ
نُورَكَ يَا مَدِينَتِي عَرَفْتُ أَنَّنِي غَلِلْتُ
إِلَى الشَّوَارِعِ الْمَسْفَلْتَةِ
إِلَى الْمِيَادِينِ الَّتِي تَمُوتُ فِي وَقْدَتِهَا
خُضْرَةٌ أَيَّامِي ..
وَأَنَّ مَا قَدَّرَ لِي يَا جِرْحِي النَّامِي

لِقَاكِ كَلِمَا اغْتَرَبْتُ عَنْكَ

بِرُوحِي الظَّامِي

وَأَنْ يَكُونَ مَا وَهَبْتَ أَوْ قَدَّرْتَ لِلْفُؤَادِ مِنْ عَذَابٍ

يُنْبِوعَ إلهَامِي

وَأَنْ أَذُوبَ آخِرَ الزَّمَانِ فِيكَ

وَأَنْ يَضُمَّ النَّيْلُ وَالْجَزَائِرُ الَّتِي تَشُقُّهُ

وَالزَّيْتُ وَالْأَوْشَابُ وَالْحِجْرُ

عِظَامِي الْمُفْتَتَّة

عَلَى الشَّوَارِعِ الْمُسْفَلْتَةِ

عَلَى ذُرَى الْأَحْيَاءِ وَالسِّكِّكِ

حِينَ يَلِمُ شَمْلَهَا تَابُوتِي الْمَنْحُوتُ مِنْ جَمِيزِ مِصْرٍ

لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي يَخْلَعُ قَلْبِي ضَاغِطًا ثَقِيلًا

كَأَنَّهُ الشَّهْوَةُ وَالرَّهْبَةُ وَالْجُوعُ

لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي يَنْفُضُنِي

لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي دَمُوعُ

أَهْوَاكِ يَا مَدِينَتِي الْهَوَى الَّذِي يَشْرُقُ بِالْبَكَاءِ

إذا ارتوت برؤية المحبوب عيناهُ
أهواك يا مدينتي الهوى الذي يسامحُ
لأن صوته الحبيس لا يقول غير كلمتين ...
إن أراد أن يُصارحُ
أهواك يا مدينتي
أهواك رغم اني أنكرتُ في رحابك
وأن طيري الأليف طارَ عني
وأني أعودُ ، لا مأوى ، ولا ملتجأ
أعود كي أشردَ في أبوابك
أعود كي أشربَ من عذابك ...

اغنية لليل

الليل 'سكرونا وكأسنا
ألفاظنا التي تُدارُ فيه نُقلنا وبَقَلنا
الله لا يجرمني الليلَ ولا مرارته
وإن أتاني الموتُ ، فلأمتُ محدثاً أو سامعاً
أو فلأمتُ ، أصابعي في شعرها الجعدِ الثقيلِ الرائحةُ
في ركني الليليِّ ، في المقهى الذي تضيئهُ مصابحُ حزينهُ
حزينةُ كحزن عينيها اللتين تخشيانِ النورَ في النهار
عينانِ سوداوانِ .
نضاحتانِ بالجلالِ المرِّ والأحزانِ
مرَّت عليهما تصاريِفُ الزمانِ

فشالتنا من كل يومٍ أسودٍ ظلًا ...

عينانٍ سرِّدِابانٍ

عميقتانٍ موتا

غريقتان صمتا

فإن تكلمتا

تندتا تعاسةً ولوعةً ومقمتا

ينكشف السردابُ حينما تدقُّ الساعةُ البطيئةُ الخطى

معلنةً أن المساقِدُ انكشفُ

تقولُ لي العينانُ :

« يا عاهري المتوجِّ الفوِّدين بالحديد والحصى »

« يا ملكي الغريب الاسمِ المزيفِ السماتِ »

« أحببتُ فيكَ رؤيةً رأيتها منذُ الصغر »

« وكان يُشبهك »

« وليسَ أنتَ ... ليسَ أنتَ ! »

« كان فتيٌ حُلَميٌ جميلًا ، لا مُزوّقا ،
« مُثَقِّفًا ، لا ذَرِبَ اللسانِ ،
« محتشماً ، نبالةً في الطبعِ ، لا خَوْفا ،
« وعاطفًا ، لا عاطفيًا ،
« يا عاهري ،

يا خُدْعتي ،

يا قَدْرِي ، !

« في الساعةِ الليليةِ الأخيرةِ ،
« خذني إلى البيتِ ، فإنني أخاف أن يبُلْغني الندى ،
« تذوبُ أصباغي

ويبدو قبحُ وجهي ،

وتصمتُ العينانِ ، ترجعانُ

عميقتانِ صمتًا

غريقتانِ مَوْتًا

الليلِ ثوبُنَا ، خِباؤُنَا

رُتبتُنَا ، شارَتُنَا ، التي بها يعرفُنَا أصحابُنَا

« لا يعرفُ الليلُ سوى من فقدَ النهارَ »

هذا شعارُنا

لا تبكنا ، يا أيها المستمعُ السعيدُ

فنحنُ مَزْهُوونَ بانْهزامِنا

أغنية الى الله

- ١ -

لينتثرُ فتاتُ لمحنا على جناحِ عيشنا الغريبُ
ولنتغربُ في قفارِ العمرِ والسُّهوبِ
ولننكسرُ في كل يومٍ مرتينُ
فمرةً حينَ 'نقابلُ الضياءُ
ومرةً حينَ تذوبُ الشمسُ في الغروبُ
فقد أردنا أن نرى أوسعَ من أحداقنا
وأن نطولَ باليدِ القصيرةِ المجدوذةِ الأصابعِ
سماً أمنياتنا
الله يا وُحدتي المغلقةَ الأبوابُ

الله لو منحنتني الصفاءُ
الله لو جلستُ في ظلالكِ الوارفةِ اللِّقاءُ
أجدلُ حبلَ الخوفِ والسَّامُ
طولَ نهاري
أشئقُ فيه العالمَ الذي تركتهُ ورا جداري
ثم أنامُ غارقاً ، فلا يغوصُ لي ...
'حلمُ'

- ٢ -

حين تصيرُ الرغباتُ أمنياتُ
لأنها بعيدةُ المطالِ في السَّما
ثم تصيرُ الأمنياتُ وهنا
لأنها تقنَّعتْ بالغمِ والضبابِ
وهاجرتْ مع السحابِ
واستوطنتْ أعاليَ الهضابِ
ثم يصيرُ الوهمُ أحلاما

لأنه مات ، فلا يطرقُ سورَ النفسِ إلا حين يُظلمُ المساءُ
كأنه أشباحُ ميتين من أحببنا
ثم يصيرُ الحلمُ ياساً قائماً وعارضاً ثقيلًا
أهدابنا ...

أثقلُ من أن تَرى ...
وإن رأَت فما يرى العِمِيَّانُ ؟
أقدامنا ...

أثقلُ من أن تنقلَ الخطى ...
وإن خطتْ تشابكتْ ، ثم سقطنا هزأةً كبهلوانٍ
نصرخُ ، يا ربنا العظيمَ ، يا إلهنا
أليسَ يكفي أننا موتى بلا أكفانٍ
حتى تُذلَّ زَهوننا وكِبْرِياءَنا ؟

- ٣ -

حزني ثقيلٌ فادحٌ هذا المساءُ
كأنه عذابٌ مُصنَّفدينَ في السعيرِ

حزني غريب' الأبوين
لأنه تكون' ابن لحظةٍ مفاجئته'
ما مَخَضَّتْهُ بَطْنُ
أراهُ فجأةً إذا يمتد وَسَطَ ضِحْكَتِي
'مكتملَ الخِلْقَةِ ، موفورَ البَدَنِ
كأنه استيقظَ من تحتِ الركامِ
بعدَ 'سباتٍ في الدُهورِ'

- ٤ -

لقد بلوتُ الحزنَ حينَ يزحمُ الهواءَ كالدُخانِ
فيوقظُ الحنينَ ، هل نرى صحابنا المسافرينِ
أحبابنا المهاجرينِ
وهل يعودُ يومنا الذي مضى من رحلةِ الزمانِ ؟
ثم بلوتُ الحزنَ حينَ يلتوي كأفعوانِ
فيعصرُ الفؤادَ ثم يخنقهُ
وبعدَ لحظةٍ من الإسارِ يُعتقهُ

ثم بلوتُ الحزنَ حينما يفيضُ جدولاً من اللهبِ
 نملأُ منه كأسنا ، ونحنُ نمضي في حدائقِ التذَكِّراتِ
 ثم يمرُّ ليلُننا الكئيبُ
 ويشرقُ النهارُ باعثاً من المماتِ
 جذورَ فَرَحِنَا الجديبِ
 لكنَّ هذا الحزنَ مسنُخُ غامضٌ ، مستوحشٌ ، غريبٌ
 فقلْ لهُ يا ربُّ ، أنْ يفارقَ الديارَ
 لأنني أريدُ أنْ أعيشَ في النهارِ

- ٥ -

يا ربَّنَا العظيمَ ، يا معذَّبِي
 يا ناسجَ الأحلامِ في العيونِ
 يا زارعَ اليقينِ والظنونِ
 يا مرسلَ الآلامِ والأفراحِ والشجونِ
 اخترتَ لي ،
 لَشَدَّةَ ما أوجَعْتَنِي

ألم أخلصُ بعدُ ،
أم تُرى نَسِيتني ؟
الويلُ لي ، نَسِيتني
نَسِيتني
نَسِيتني ...

الكراسة الثانية

أغنيات تائمه

اغنية من فيينا

كانت تنامُ في سريري ، والصبحُ
منسكبٌ كأنه وشاحُ
من رأسها لردفها
وقطرةٌ من مطرِ الخريفِ
ترقدُ في ظلالِ جفنيها
والنفسُ المستعجلُ الحفيفُ
يشهقُ في حلمتها
وقفتُ قربها ، أحسها ، أرقبها ، أشمها
النبضُ نبضٌ وثني
والروحُ روحٌ صوفي ، سليب البدنِ

أقول ، يا نفسي ، رآك الله عطشى حين بلّ غربتك
جائمةً فقوتك

ناهةً فمدّ خيوطَ نجمةٍ يضيءُ لك

يا جسمها الأبيض قل : أنت صوت ؟

فقد تحاورنا كثيراً في المساء

يا جسمها الأبيض قل : أنت خضرةٌ منورة ؟

يا كم تجولتُ سعيداً في حدائقك

يا جسمها الأبيض قل : أنت خمره ؟

فقد نهلتُ من حوافِ مرمرٍ

سقايتي من المدامِ والحبابِ والزبدِ

يا جسمها الأبيض مثلَ خاطرِ الملائكة

تبارك الله الذي قد أبدعك

وأحمدُ الله الذي ذاتَ مساءً

على جفوني وضعك

لما رأينا الشمسَ في مفارقِ الطرق

مدّت ذراعَيها الجميلتين

مدت ذراعَيْهَا الخِيفَتَيْنِ
 وَنَقَرَتْ أَصَابِعَ الْمَدِينَةِ الْمَدْبُوبَةِ
 عَلَى زَجَاجِ عَشْتِنَا ، كَأَنَّهَا تَدْفَعُنَا
 نَدَهَبُ ، أَيْنَ ؟
 تَشَابَكْتَ أَكْفَتَنَا ، وَاعْتَنَقْتَ
 أَصَابِعَ الْيَدَيْنِ
 تَعَانَقْتَ شَفَاهُنَا ، وَافْتَرَقْتَ
 فِي قَبْلَةٍ بَلِيلَةٍ مِنْهُومَةٍ
 تَفَرَّقْتَ خَطَوَاتِنَا ، وَانْكَفَأْتَ
 عَلَى السَّلَامِ الْقَدِيمَةِ
 ثُمَّ نَزَلْنَا لِلطَّرِيقِ وَاجْمَيْنِ
 لَمَّا دَخَلْنَا فِي مَوَاكِبِ الْبَشَرِ
 الْمُسْرِعِينَ الْخَطْوَةَ نَحْوَ الْخَبْزِ وَالْمَثُونَةِ
 الْمُسْرِعِينَ الْخَطْوَةَ نَحْوَ الْمَوْتِ
 فِي جِبْهَةِ الطَّرِيقِ ، انْفَلَتَتْ ذِرَاعُهَا
 فِي نِصْفِهِ ، تَبَاعَدَتْ ، فَرَّقْنَا مُسْتَعَجِلٌ يَشُدُّ طِفْلَتَهُ

في آخر الطريقِ 'تقت' - ما استطعت' - لو رأيت'
ما لون' عينيها
و حينَ شارَفنا ذرى الميدان ، غمغمتْ بدونِ صوت'
كأنها تسألني .. من أنت' ؟

الصمت والجناح

الصمتُ رَاكِدٌ رَكُودٌ رِيحٌ مَيْتَةٌ
حَقٌّ جِنَادِبٌ الحَقُولِ سَاكِتَهُ
وَقَبَةٌ السَّمَاءِ بَاهِتَهُ
وَالْأَفَقُ أَسْوَدٌ وَضَيْقٌ بِلَا أَبْوَابٍ
مِنْكَفِيَةٍ مِنْ حَيْثُهَا التَّفْتُ كَالسَّرْدَابِ
وَنَحْنُ مَمْدُودَانِ فِي ظِلَالِ حَائِطٍ قَدِيمٍ
مَفْتَرِشَانِ ظَلَّتْنَا
مَلْتَحِفَانِ بِالْعَذَابِ

وفجأةً أورقَ في حقلِ السَّمَا نَجْمٌ وَحِيدٌ

ورفت في الصمتِ البليدِ ريشُ طائرٍ فريدٍ
كَمَسْتُ ، يا صديقتي ، توجّهي لربّنا
وناشديه ، أن يَبْثَّ في ظلالنا
رَفْرَفَةَ الحَيَاةِ من جديدٍ ..

الهرب في هذا الزمان

تسألني رفيقتي : ما آخرُ الطريقُ
وهل عرفتُ أوله
نحنُ دميَّ شاخصةٌ
فوقَ ستارِ مُسدّلهُ
خطىً تشابكتُ بلا ..

قصدي ، على دربٍ قصيرٍ ضيقِ
اللهُ وحدهُ الذي يعلمُ ما غايةُ هذا الولهِ المؤرّقِ
يعلمُ هل تُدرِكنا السعادةُ
أم الشقاءُ والندَمُ ؟
وكيف توضعُ النهايةُ المعادةُ

الموتُ ... أو نوازِعُ السَّامِ ؟
يعلمُ ، حين نلتقي بعد سنين أو شهورٍ
هل سيكونُ في العيونِ وَجْدُها
هل سيكونُ في العيونِ حَقْدُها
أم نلتقي كالأصدقاءِ القديما
يسلّمونَ في فتورٍ ...
يودّعونَ في فتورٍ ...

الحبُّ يا رفيقتي ، قد كانُ
في أوّل الزمانِ
يخضعُ للترتيبِ والحُسابِ
« نظرةٌ » ، فابتسامةٌ ، فسلامٌ
« فكلّامٌ » ، فموعدٌ ، فلقاءٌ
اليومَ .. يا عجائبَ الزمانِ !
قد يلتقي في الحبِّ عاشقانُ
من قبل أن يبتسما

ذكرت أننا كعاشقين عصريين ، يا رفيقتي
ذقنا الذي ذقناه
من قبل أن نشتهي
ورغم علمنا
بأن ما ننسجه 'ملاءة' لفرشنا
تنقضه 'أنامل' الصباح
وأن ما نهيمسه ، 'ننمش' أعصابنا
يقتله 'بؤاح'
فقد 'نسجنناه'
وقد همسناه

الحب في هذا الزمان يا رفيقتي
كالحزن ، لا يعيش إلا لحظة البكاء
أو لحظة الشبق
الحب بالفطانة اختنق
إذا افترقنا ، يا رفيقتي ، فلنبلق كل اللوم

على زَمانِنا
ولننفض الأيدي في التذكارِ والندَمُ
ولنَمسَحِ الظلالَ عنْ عيونِنا
ولنبتسمُ في ثقةٍ ، بأنَّ ما حَدَثُ
كانَ إرادةَ القَدَرِ
وأنَّ أمرًا أمرَ
وأنا قد استجبنا للذي نُحسُّهُ
حينَ قتلنا حَسَنًا
وأنَّ ما مضى
أهونُ من أن نحمَله كأمسِنا
من أن يمدَّ ظِلَّهُ البغيضُ
على شبابِنا
ولننطلقُ مغامرِينَ ضائعِينَ في البحارِ العَكِرَةِ
ند جَسَمَنا الجديبَ ، والضلوعِ المقفَرِ
في الغرَفِ الجديدةِ المؤجرَةِ
بينَ صدورِ أخَرَ مُعْتَصِرَةِ

رسالة الى سيده طيبة

في يومٍ كانتْ وَرْدَه
تغفو في 'كم' الليلِ
الشمسُ رَعَتْهَا
حتى دَبَّتْ فيها الروح
والشمسُ ،
الشمسُ أَمَاتَتْهَا
وقدأ وتباريح
في يوم حَلَّقَ طَائِرِ
ألقاهُ الحظُّ العائِرُ
في حبِّ الآفاقِ الممتدَّةِ

فمضى يَصَاعِدُ منطلقاً
هبت ريحُ ألقتهُ للسفحِ
وهوى في جوفِ الآفاقِ الممتدةِ
ورعاهُ السفحُ ، فلمَ عِظَامَهُ
حق دبت فيه الروحُ
لكن ، هل يأمن حِضنَ الریحِ
طيرٌ مقصوصُ الريشِ جريحُ
حق .. والريحُ رَخيّةُ
في ليلةِ صيفِ
وقّع أحدُ الشعراءِ البُسْطَاءِ
أنعاماً ساذجةً خضراءِ
ليناجي قلبَ الإلفِ
لكن كفاً معشوقتهِ قد مزقتنا أوتارهُ
صارت أنعامُ الشاعرِ خرّساءِ
فإذا نطقتْ كانت سوداويةِ

يا سيدتي ، 'عذرا
فأنا أتكلمُ بالأمثالِ لأن الألفاظَ العُربِيَّانَةَ
هي أقسى من أن تُلَقِّيها شفتانُ
لكنَّ الأمثالَ الملتفَّةَ في الأسمالِ
كشفتُ جسدَ الواقعِ
وبدَّتْ كالصِدْقِ العُربِيَّانِ

أشقى ما مرَّ بقلبي أن الأيامَ الجَهَمَةَ
جعلتهُ يا سيدتي قلباً جَهِماً
سلبتهُ موهبةَ الحُبِّ
وأنا لا أعرفُ كيفَ أحبكُ
وبأضلاعي ، هذا القلبُ ...

حكاية قديمة

كان له أصحابُ
وعاهدوهُ في مساءٍ 'حزنيه' ...
ألاَّ يسلموه للجنودُ
أو ينكروهُ عندما
يطلبه السلطانُ
فواحدُ أسلمهُ لقاءَ حِفْنَةٍ من النقود
ثم انتحَرُ
وآخرُ أنكرهُ ثلاثةً قبل انبلاج الفجرِ
وبعد أن ماتَ اطمأنتْ شفتاهُ
ثم مشى مكرِّزاً مفاخِراً بأنه رآه

وباسمه صاد مبارک کا مُعَمِّدا

والآنَ يا أصحابُ

أَسْأَلُكُمْ سَؤَالَ حَائِرٍ

أَيُّهَا أَحِبِّهِ ؟ ...

من خَيْرِ الرُّوحِ فَأَرُخَصَ الحَيَاةَ

أَمْ مِنْ بَنَى لَهُ مَعَابِدًا ،

وَشَادَ بِاسْمِهِ مَنَائِرَ

قَامَتْ عَلَى حَيَاةٍ

نَجَتْ لِأَنَّهَا تَنَكَّرَتْ

والآنَ يا أصحابُ

أَيُّهَا أَحِبِّهِ ؟

أَيُّهَا أَحَبَّ نَفْسَهُ ؟

أَيُّهَا أَحَبَّبْنَا ؟

لوركا

لوركا ...

نافورة 'ميدان'

ظلٌ ومقيلٌ للأطفالِ الفقراء

لوركا اغنياتٌ 'عجريه'

لوركا شمس ذهبية'

لوركا ليل صيفيٌ 'منعِم'

لوركا أنثى 'متيّم'

لوركا سوسنةٌ 'بيضاء'

مَسَحَتْ خَدَّيْهَا فِي الْمَاءِ

لوركا أجراسٌ 'قباَب'

سَكَنْتُ فِي جَوْفِ ضَبَابٍ
قَرَبَ النِّجْمِ الْمُفْرَدِ
أَنَا تَشْدُو ، أَنَا تَتْنَهْدُ
لوركا سَعَفُ الْعَيْدِ الْأَخْضَرِ
لوركا حلوى 'سَكَّر'
لوركا قلبٌ مملوءٌ بالنورِ الرَّائِقِ
وضلوعٌ شَفَّافَةٌ
لوركا صدرٌ عريانٌ من زَبَدٍ ودُخَانِ
عَلِمَ لِلسَّجْعَانِ
لوركا 'حلوى' كَجَنَى النِّحْلِ الشَّبَعَانِ
مرٌ كَمِيَاهِ الْبَحْرِ الْحُلُوهِ
وَكَمَوُجَتِهَا هِيَانٌ ...
في ليلةٍ صيفٍ رَاكِدَةِ الرِّيحِ
صارَ الشَّاعِرُ أَسْطُورَةً
قَتَلَتْهُ الْخَفْرَاءُ الْحَقْرَاءُ

قتلته الخفراءُ الحفراءُ
 وتكوّمُ جرحاً فوقَ التلِّ
 شرقتُ جمجمةٌ منخورةٌ
 بدما قلبٍ معتلٍ
 والجسمُ الحشبيُّ ،
 والقبعةُ المظمورةُ
 صدّتا في الطلِّ
 أما الكلماتُ الحلوةُ والمزورةُ
 فقد انسابتُ جدّولٌ
 يمضي حيثُ سقطتَ ، وعضّ الترابَ فمكُ
 حتى يُغفي في حُضنِ اللهِ الغاضِبِ
 يَرجوهُ أن يَغفوَ عن خفراءِ بِلدَاءِ
 قتلوا آخرَ أبناءِ الرّبِّ

بوحديير

أنتَ لَمَّا عَشَقْتِ الرِّحِيلَ
لم تجدِ موطنًا
يا حبيبَ الفِضَاءِ الَّذِي لم تجسِّهْ قَدَمُ
يا عَشِيقَ البَحَارِ ، وَخِذْنِ القِيمَمُ
يا أُسِيرَ الفؤَادِ المَمْلُوقِ
وغيرِيبِ المَنَى
يا صَدِيقِي أَنَا

Hypocrite lecteur
Mon semblable, mon frère

شاعِرُهُ أَنْتَ وَالكَوْنُ نَثْرُ

والنفاقُ ارتدى أجنحةُ
وتزيّتا بزي ملاكٍ جميل
والطريقُ طويلُ
والتغني اجترأُ على كشفِ سرِّ

في عيونِ النساءِ
طفت ، لما تجددُ
في السماءِ التي أطرقتُ مُعجَبَةً
فوقَ بحرٍ سجا كالزجاجِ الرهيفِ
لم تجددُ .. لم تجددُ
في الدخانِ الذي ينعقدُ
ثم يهوي أمامَ العيونِ كثوبٍ شفيفِ
لم تجددُ .. لم تجددُ
فعمشتَ الرحيلُ
في بحارِ المنى
يا فؤاداً ملولاً
يا صديقي أنا

من أغاني الخرفج

الى س. غ.

« بيننا يا جارتى بحر عميق »

الخروج

أخرج من مدينتي ، من موطني القديم
مطرًا حًا أثقالَ عيشي الأليم
فيها ، وتحت الثوبِ قد حملتُ سرِّي
دفنتهُ ببابها ، ثم اشتملتُ بالسماِ والنجومُ
أنسلُ تحتَ بابها بليلُ
لا آمنُ الدليلَ ، حتى لو تشابهتُ عليّ طلعةُ الصحراءِ
وظهرُها الكتومُ
أخرجُ كاليتيمُ
لم أتخيرَ واحداً من الصحابِ
لكي يُفدّيني بنفسِهِ ، فكل ما أريدُ قتلَ نفسيَ الثقيلهُ

ولم أغادرَ في الفراشِ صاحبي يُضللُّ الطلابُ
 فليسَ من يَطْلُبُنِي سوى « أنا » القديمُ
 حجارةٌ أكون لو نظرتُ للوراءُ
 حجارةٌ أصبحُ أو رُجومُ
 سوخي إذن في الرملِ ، سيقانَ الندمِ
 لا تتبعيني نحو مَهْجَرِي ، نَشْدُتُكَ الجحيمُ
 وانطفئي مَصابِحَ السماءِ
 كي لا ترى سوانحُ الألمِ
 ثيابي السوداءُ
 تحجرتي كقلبكِ الخبيءِ يا صحراءُ
 ولتُنْسِنِي آلامُ رحلتكِ
 تذكاراً ما اطّرحْتُ من آلامِ
 حتى يَشِفَّ جسْمي السقيمُ
 إن عذابَ رحلتي طهّارتي
 والموتُ في الصحراءِ بَعْثِي المقيمُ

لومتُ عِشْتُ ما أشاءُ في المدينة المنيرة
مدينة الصَّحْوِ الذي يزخرُ بالأضواءُ
والشمسُ لا تُفارقُ الظهيرةُ
أواه ، يا مدينتي المنيرةُ
مدينة الرؤى التي تشربُ ضوءاً
مدينة الرؤى التي تمجُّ ضوءاً
هل أنتِ وهمٌ وإِهْمَ تَقَطَّعَتْ به السُّبُلُ
أم أنتِ حقٌّ ؟
أم أنتِ حقٌّ ؟

اغلام من العيون

- ١ -

عيناكِ عُشِّيَ الْاٰخِرِ
أرقدُ فيها ، ولا أطيْرُ
هُدْيُهُمَا وَثِيْرُ
خَيْرُهُمَا وَفِيْرُ

وعندما حطَّ جَنَاحُ قَلْبِي النَّزِقِ
بينهما ، عرفتُ أَنِّي أدركت
نِهَايَةَ الْمَسِيْرِ

كفَّاكَ نِعْمِي ، نِعْمَ مَا أُعْطِيْتُ لِلْمَسَافِرِ الْفَقِيْرِ
ابن سبيلِ الْحُبِّ وَالسَّرُوْرِ

كَانَ بِلَا زَادٍ يَسِيرٌ
 فِي الْمَهْمَةِ الْمَهْجُورِ
 وَفَجَاءَةً ، لَاحَتْ لَهُ بُشَارَةٌ بِبَيْضَاءُ
 رَايَةً مِنْ نُورِ
 رَاحَةٍ مِنْ نُورِ
 وَمِلْتُ نُحُوحَ ظِلِّكَ النَّدِيِّ ، يَا حَبِيبِي
 أَنْشَقُ رِيحَ الزَّهْرِ فِي حَدَائِقِكَ
 أَبُلُّ قَلْبِي بِالنَّدَى ، أَنْعِشُهُ بِالظَّلِّ وَالنَّسَائِمِ
 يَغْسِلُنِي حَنَانُكَ الرَّقِيقُ مِثْلَمَا ،
 تَغْتَسِلُ السَّمَاءُ بِالْغَمَائِمِ
 وَمِثْلَمَا تَهْتَزُّ لِلرَّبِيعِ شَجَرَةٌ
 يَسْقُطُ عَنِّي وَرَقِي الْقَدِيمِ
 يَمُوتُ حَزْنِي الْعَقِيمِ ، حَزْنِي الْمَقِيمِ
 بِصَافِحِ الْحَيَاةِ وَجْهِي الَّذِي نَضَرْتَهُ بِبَسْمَتِكَ
 أَمَدَّ نُحُوحَ الشَّمْسِ كَفْتِيَا
 وَأَرْفَعُ الْعَيْنَيْنِ لِلنُّجُومِ

من أيّ نبع رائق يفيضُ حُبُّنا
يغمُرُنا سعادةً كأننا طفلانُ
لم نعرفِ التجوالَ في الزمانِ
أيّ نسيمٍ ناعمٍ هذا الحنانُ
وأيّ كأسٍ حلوةٍ تلكَ التي نذوقُها
حينَ نُطلُّ من عُيوننا قلوبُنا المُنحَّه
تبحثُ في الأحداقِ عن طعامِها ومائِها
ثم تنامُ في أمانِ
وأيّ كونٍ طيبٍ يحيطُنا
حين نكونُ وحدنا معا
أي كمالٍ لم يُشاهدْ مثلهُ أيّ جمالِ
اللهُ عادلٌ بنا ، والكونُ خيرٌ ما يزالُ
والناسُ شفتافونَ كالخيالِ
وأنتِ يا لؤلؤتي المنوّرةُ
أنقى من الظليلِ

يطيبُ لي في آخِرِ المساءِ أن أقولَ كَلِمَتَيْنِ
شفاةً أرفعُها اليكِ يا سيدةَ النساءِ
الحبُ يا حبيبتي أغلى من العيونِ
صونيه في عيذكِ واحفظيه
الحبُ يا حبيبتي مَلِيكُنا الحنونِ
كوني له مطيعةً سميعةً
الحبُ يا حبيبتي هديةُ الحياةِ لي ، ولكِ
لمتعبينِ حائرينِ في السنينِ
الحبُ يا حبيبتي فرْدوسُنا الأمينِ
حين تَوودُ ظَهْرَنا الأيامِ
وتنتهي رَحلتُنا لشاطيءِ المنونِ
نذوبُ في هوائه مهللينَ باسمينِ
كأنا الحنونِ

احلام الفارس القديم

لو أننا كنا كفصني شجرة
الشمس أرضعت عروقنا معا
والفجر روتنا ندى معا
ثم اصطبغنا خضرة مزدهره
حين استطلنا فاعتنقنا أذرعا
وفي الربيع نكتسي ثيابنا الملوّنه
وفي الخريف ، نخلع الثياب ، نعرى بدنا
ونستحم في الشتا ، يُدْفئنا حنونا

لو أننا كنا بشط البحر موجتين

صَفَيْتَا مِنَ الرَّمَالِ وَالْمَحَارِ
تَوَجَّتا سَبِيكَةً مِنَ النَّهَارِ وَالزَّبَدِ
أَسْلَمْنَا الْعَنَانَ لِلتِّيَارِ
يَدْفَعُنَا مِنْ مَهْدِنَا لِلْحَدِنَا مَعَا
فِي مَشِيَةِ رَاقِصَةٍ مُدْنَدِنَةٍ
تَشْرِبُنَا سَحَابَةً رَفِيقَةً
تَذُوبُ تَحْتَ ثَغْرِ شَمْسٍ حَلْوَةٍ رَفِيقَةٍ
ثُمَّ نَعُودُ مُوجَّتَيْنِ تَوَآمِينِ
أَسْلَمْنَا الْعَنَانَ لِلتِّيَارِ
فِي دُورَةٍ إِلَى الْأَبَدِ
مِنَ الْبَحَارِ لِلسَّمَاءِ
مِنَ السَّمَاءِ لِلْبَحَارِ

لو أَنَّنَا كُنَّا بِخَيْمَتَيْنِ جَارَتَيْنِ
مِنْ شَرْفَةٍ وَاحِدَةٍ مَطْلَعُنَا
فِي غَيْمَةٍ وَاحِدَةٍ مَضْجَعُنَا

نضيءُ للعشاقِ وخدمهم وللمسافرين
نحو ديارِ العشقِ والمحبةِ
وللحزاني الساهرينَ الحافظينَ موثِقَ الأحبةِ
وحين يَأْفُلُ الزمانُ يا حبيبي
يُدْرِكُنَا الأفولُ
وينطفي غرامُنَا الطويلُ بانطفائنا
يبعثُنَا الإلهُ في مسارِبِ الجنانِ دُرَّتَيْنِ
بين حصىٍ كثيرٍ
وقد يرانا مَلَكٌ إِذْ يَعْبُرُ السَّبِيلُ
فينحني ، حين نشدَّ عينهُ إلى صفائنا
يلقطنَا ، يمسحنا في ريشه ، يُعجبهُ بريقنا
يرشُقُنَا في المفرقِ الطهورِ

لو أننا كنّا جناحي نورسٍ رقيقٍ
وناعمٍ ، لا يَبْرَحُ المضيّقُ
محلّقٍ على ذوَابَاتِ السُّفْنِ

يبشّر الملاحَ بالوصولُ
ويوقظُ الحنينَ للأحبابِ والوطنُ
منقارُهُ يقناتُ بالنسيمِ
ويرتوي من عرقِ الغيومِ
وحينما يُجنّ ليلُ البحرِ يطوينا معاً ... معاً
ثم ينامُ فوقَ قلنعِ مركبِ قديمِ
يؤانسُ البحارةَ الذين أُرهبوا بغربةِ الديارِ
ويؤنسونَ خوفَهُ وحيرَتَهُ
بالشدوِ والأشعارِ
والنفخِ في المزمارِ

لو أننا

لو أننا

لو أننا ، وآه من قسوة « لو »

يافتنتي ، إذا افتتحننا بالمني كلامنا

لكننا ...

وآه من قسوتها « لكننا »
 لأنها تقولُ في حروفها الملقوفةِ المشتبكهُ
 بأننا نُنكرُ ما خَلَفَتِ الأيامُ في نفوسنا
 نودُ لو نخلعهُ
 نود لو ننساهُ
 نود لو نعيدهُ لِرحمِ الحياهُ
 لكنني يا فتنتي مجربُ قعيدُ
 على رصيفِ عالمِ يموجُ بالتخليطِ والقيامةُ
 كونِ خلا من الوسامةُ
 أكسبني التعتيمَ والجهامةُ
 حين سقطتُ فوقهُ في مطلعِ الصبا

قد كنتُ فيما فاتَ من أيامُ
 يا فتنتي محارباً صلباً ، وفارساً همامُ
 من قبلِ أن تدوسَ في فؤادي الأقدامُ
 من قبلِ أن تجلِدَني الشمسُ والصقيعُ

لكي تذلّ كبريائي الرفيع
كنتُ أعيشُ في ربيعِ خالدٍ ، أيّ ربيعٍ
و كنتُ إن بكيتُ هزّني البكاءُ
و كنتُ عندما أحسّ بالرثاءُ
للبؤساءِ الضعفاءُ

أودّ لو أطعمتُهُمْ من قلبي الوجيع
و كنتُ عندما أري المحيرين الضائعين
التائمينَ في الظلامِ
أودّ لو يُحرقني ضياعُهُمْ ، أودّ لو أضيءُ
و كنتُ إن ضحكتُ صافياً ، كأنني غديرٌ
يفترّ عن ظلّ النجومِ وجههُ الوضيءُ
ماذا جرى للفارسِ الهُمامِ ؟
انخلع القلبُ ، وولى هارباً بلا زمامِ
وانكسرتُ قوادِمُ الأحلامِ
يا مَنْ يدلُّ خطوتي على طريقِ الدمعةِ البريئةِ
يا مَنْ يدلُّ خطوتي على طريقِ الضحكةِ البريئةِ

لك السلام

لك السلام

أعطيك ما أعطني الدنيا من التجريبِ والمهارة

لقاء يوم واحدٍ من البكارة

لا ، ليسَ غيرَ « أنتَ » من يعيدني للفارسِ القديمِ

دونَ ثمنٍ

دون حسابِ الربحِ والخسارة

صافيةً أراكِ يا حبيبتي كأنما كبرتِ خارجَ الزمانِ

وحينا التقينا يا حبيبتي أيقنتُ أننا

مفترقان

وأني سوف أظلُّ واقفاً بلا مكانٍ

لو لم يُعِدني 'حبكِ الرقيقُ' للطهارة

فنعرفُ الحبَّ كعُصْنِي شجره

كنجمتينِ جارتينِ

كموجتَيْنِ توأمينِ

مثل جنّاحي نورسٍ رقيقٍ
عندئذٍ لا نفترقُ
يضمنا معاً طريق
يضمنا معاً طريق

الكراسة الرابعة

صحائف من مذكرات مهملة

مذكرات امك عجيب بن الخصيب

- ١ -

لم آخذِ الملكَ بجدِ السيفِ ، بل ورثته
عن جدِّي السابعِ والعشرين ، (إن كان الزنا
لم يتخلل في جذورنا
لكنني أشبهه في صورةٍ أبدعها رسامه
رسامه ... كان عشيقَ الملكة)

- ٢ -

قصر أبي في غابة التينين
يضج بالمنافقين والمحاربين والمؤدبين

من بينهم مؤدبي الأمين « جورجياس »
وكان لوطيا مسيحيا

- ٣ -

« هل ماءُ النهرِ هو النَّهرُ ؟ »
« سقراطُ... محقُّ حين تجرَّعُ كأسَ الموتِ وما فرُّ ؟ »
الميتُ ، يحسُ دعاءَ الأهلِ إذا ما أودِعَ في القبرِ ؟
« المرأةُ فحُّ منصوبٌ ، واحفظُ وعظي
إن جئتَ لديها ،
لا تأمنَّها ، حتى لو جعلتَ فرشَ منامكُ
نهديا أو فخذيا »

- ٤ -

ورغم تعاليمه ، قد عرفَتِ النساءُ
إماءَ أبي كنَّ حين يُجنُّ المساءُ
يخسِنَ إليّ ، يضاجعنني ويلاعِبنني

وَيَفْضَحْنَ لِي مَا يُسِرُّ أَبِي
 اليهن ، حين تثورَ الدماءُ ، وتهمدُ ظمأى
 فيسحبُ ثوبَه
 وحين يُطبَّ له كاهِنوه ، فقتبتلُ رغبته بالرضاذا
 ويحمدُ رَبَّه
 ولم ينفع الطبُّ ذات مساء ، على حذق كهانه المعجِبِ
 ومات أبي ، والدموعُ تسيلُ تسيلُ على وجنتيه
 وفي كفه مِرْقَةٌ من رداءِ حريرِ

- ٥ -

« مات الملك الغازي » ...
 « مات الملك الصالح » ...
 صاحتُ أبواقُ مدينتنا صيحاً مملوفا
 وقفَ الشعراءُ أمامَ البابِ صُفُوفاً
 وتدحرجتِ الأبياتُ ألُوفاً
 تبكي الملكَ الظاهرَ حتى في الموتِ

وتتجد أسماءَ خليفته المملكِ العادلِ
وتراوحُ في نبراتِ الصّوتِ

« صوت حيرانُ »

هناهُ محاذُ ذاكِ العزاءِ المقدّما

« صوت فرحانُ »

فما عَبَسَ المحزونُ حتى تبسّما

« صوت ريانُ »

فأنتَ هلالُ أزهرِ النونِ مُشرقُ

« صوت أسيانُ »

وكان أبوكَ البدرُ يلمعُ في السما

« صوت غضبانُ »

وأنتَ كليثُ الغابِ عمثك همته

« صوت بالدمعة نديانُ »

وكان المليكُ الراحلُ اليومَ قشعما

« صوت بالبهجة دالانُ »

وأنتَ الغمامُ المساطرُ الخيرَ دائما

« صوت فياض بالأحزان »

وكان أبوكَ البدرُ قد فاضَ أنعمها
صوت مَبسوطِ حقِ قربِ القافيةِ الميميةِ
فحييتَ من سَبَطِ سليلِ أشاوسِ
كرامِ سجايامِ ...

وبوركَ مَنْ نما ... الخ

(ما أضجرَ هذي القافيةِ الميميةِ)

(لنْ يسكتَ هذا الشاعرُ حقِ يفنى حرفُ الميمِ)

- ٦ -

لو قلتُ كل ما تُسرّه الظنونُ

لقلتمو مجنونُ

« الملكُ المجنونُ ! »

لكنني أبحثُ عن يقينِ

في مجلسِ الصبحِ أنا تاجُ وصولجانِ

تقطيبُ عينينِ وبَسْمَتانِ

أو بسمةٌ تعقبُها تقطبتانُ
وكل حالٍ لها أوانُ
لكنني في مخدعي إنسانُ
وافزعي من المسا إذا أطلُ
وافزعي من حيرة الأفكارِ في السُّبُلِ
أبحث في كل الحنايا عنك ، يا حبيبتى المقتنمه
يا حِفنةً من الصفاءِ ضائعهُ
هل تحتفينَ في الجسدُ
أعصرُهُ فينتفضُ
وحين يروي ينزوي ولا يردُ
وبعد ساعةٍ يعودُهُ الظما ، كأنَّ كل ما ارتوى
كان سراياً أو زبَدُ

هل تحتفينَ في غِيَابَةِ الكؤوسِ والحشيشِ والأفيونِ
كما يقولُ الشاعرُ المأفونُ
« لولا الحشيشُ وسِنَّةُ الألفِ »

(ويقصد الأفيون)

« لعدوتُ في بؤسٍ وفي قرَفِ »

لقد خلطتُ أكتوساً بأكتوسٍ كِثَارُ

ثم مزجتُ أخضراً بأسودٍ بنارُ

شممتُ خلطةَ البهارِ ، ثم غصنتُ في البحارِ

حين رأيتُ رأيَ العين طائراً برأسٍ قرْدُ

وحينما أرادَ أن يقولَ كلمةً نهَقُ

كان له ذيلُ حمارُ

ضحكتُ حتى قضقتُ ضلوعُ صدري

ثم غفوتُ

رأيتُ في المنامِ أنني أقودُ عربهُ

تجرّها ستٌ من المهارى

تجوبُ بي الوديانَ والصحارى

وفجأةً تحولتُ خيولها قطاطا

تشي إلى الوراءِ ، وجهها ، عيونها تبصُ لي شرارا

ثم غدّتْ عيونها نجوما

هذا النجم .. النجم القطبي
الدب القطبي الأبيض
صارت قطبي دببته
يخطو نحوي الدب القطبي ليأكلني
أو يأخذني ليعلقني في فكه
أتخيل أني قد علقت بفك الدب الأبيض
أنى أتدلى من أسنان الدب الأبيض
يا خدام القصر .. ويا حراس .. ويا أجناد
.. ويا ضباط ... ويا قادة
مدوا حول الكرة الأرضية نسج الشبكة
كي يسقط فيها ملككم المتدلي

* * *

سقط الملك المتدلي جنب سريره

مذكرات الصوفي بشر الهافي

« أبو نصر ، بشر بن الحارث ، كان قد طلب الحديث ، وسمع سماعاً كثيراً ، ثم مال إلى التصوف ، ومشى يوماً في السوق ، فأقزعه الناس ، فخلع نعليه ، ووضعها تحت ابطيه ، وانطلق يجري في الرمضاء ، فلم يدركه أحد ، وكان ذلك سنة سبع وعشرين ومائتين »

- ١ -

حينَ فقدنا الرضا
بما يريدُ القضا
لمَ تنزل الأمطارُ
لمَ تُورق الأشجارُ
لمَ تلمع الأثمارُ
حينَ فقدنا الرضا
حينَ فقدنا الضحكا
تفجرت عيوننا ... 'بكا'
حينَ فقدنا هدأةَ الجنبِ

على فراش الرضا الرحب
نام على الوسائد
شيطانُ بغضٍ فاسدٍ
معانقي ، شريكُ مضجعي ، كأنما
قرونه على يدي
حين فقدنا جوهرَ اليقين
تشوّهت أجنةُ الجبالِ في البُطون
الشعرُ ينمو في مَغاوِرِ العُيون
والذقن معقودٌ على الجبين
جيلٌ من الشياطين
جيلٌ من الشياطين

- ٢ -

إحرص: ألا تسمع
إحرص: ألا تنظر

إحرص ألا تلتمس

إحرص ألا تتكلم

قف ! ...

وتعلق في حبل الصمت المبرم

ينبوع القول عميق

لكن الكف صغيرة

من بين الوسطى والسبابة والإبهام

يتسرب في الرمل .. كلام

- ٣ -

ولأنك لا تدري معنى الألفاظ ، فأنت تناجزني بالألفاظ

اللفظ حَجَرٌ

اللفظ مَنِيَّةٌ

فإذا ركبت كلاماً فوق كلام

من بينها استولدت كلام

لرأيتَ الدنيا مولوداً بشعاً

وتمنيتَ الموتُ

أرجوكُ ...

الصمتَ ...

الصمتَ !

- ٤ -

تظلُ حقيقةٌ في القلبِ توجههُ وتُضئيه

ولو جفتُ بحارُ القولِ لم يُبَحِرْ بها خاطرُ

ولم ينشرِ شراعَ الظنِّ فوقَ مياهها ملاحُ

وذلك أن ما نلقاهُ لا نبغيه

وما نبغيه لا نلقاهُ

وهل يُرضيكَ أن أدعوكَ يا ضيفي لمائدتي

فلا تلقى سوى جيفتهُ

تعالى اللهُ ، أنتَ وهبتنا هذا العذابَ وهذه الآلامُ

لأنك حينما أبصرتنا لم نخلُ في عينيك
تعالى الله ، هذا الكونُ موبوءٌ ، ولا برءُ
ولو ينصفنا الرحمنُ عَجَلْ نَحُونَا بِالْمَوْتِ
تعالى الله ، هذا الكونُ ، لا يصلحهُ شيءُ
فأين الموتُ ، أين الموتُ ، أين الموتُ

- ٥ -

شيخي « بسام الدين » يقول :
« يا بشرُ .. اصبرُ
دنيانا أجلُ مما تذكرُ
ها أنتَ ترى الدنيا من قَمَّةِ وجدِكَ
لا تبصرُ إلا الأنقاضَ السوداء »

ونزلنا نحوَ السوقِ أنا والشيخُ
كان الإنسانُ الأفعى يجهدُ أن يلتفَ على الإنسان
الكركي

فشى من بينها الإنسانُ الثعلبُ
عجباً ، ...

زورُ الإنسانِ الكركي في فك الإنسانِ الثعلبُ

نزَلَ السوقَ الإنسانُ الكلبُ

كي يفقأ عينَ الإنسانِ الثعلبُ

ويدوسُ دماغَ الانسانِ الأفعى

واهتزَّ السوقُ بخطواتِ الانسانِ الفهدُ

قد جاءَ ليققرُ بطنَ الانسانِ الكلبُ

ويمصّ نخاعَ الإنسانِ الثعلبُ

يا شيخى بسامَ الدين

قل لي .. « أينَ الانسانُ .. الانسانُ ؟ »

شيخى بسامَ الدين يقول :

« اصبرُ ... سيجيءُ »

سيهلُّ على الدنيا يوماً ركبهُ »

يا شيخى الطيب !

هل تدري في أيِّ الأيامِ نعيشُ ؟

هذا اليومُ الموبوءُ هو اليومُ الثامن
من أيامِ الأسبوعِ الخامسِ
في الشهرِ الثالثِ عشرِ
الانسانُ الانسانُ عَبْرَ
من أعوام
ومضى لم يَعْرِفْهُ بَشَرٌ
حَفَرَ الحِصْبَاءَ ، ونام
وتغطى بالآلامِ

تأملات في زمن جريح

تأملات في زمن جريج

حكاية المغني الهزين

ذلك المساء

حدثتموني عن سنابكٍ مجنحةٍ
تفتق الشرار في أهلة المآذن
عن عصابة من السيوف، لا تفل
قد أغمدت في الصخر، لا تُسَل
إلا إذا قرأتها دونها أسماءكم
يا عصابة الأماجد ، الأشاوس ، الأحامد ، الأحاسن

وقلتمُ :

« يا أيها المغني غننا

'مسَمَلَ العينين في حضرتنا

لحناً يثير زهونا
ويذكر انتصارنا
(إذا تحين ساعة موعودة ، تغم في أشراتها
لم تنخلع عن غيما إلا لنا
الساعة التي تصير فيها خوضةُ الشيطان
كأساً لخمير ميد الفرسان) «

الاستطراد أعتذر عنه

وصنعتي يا سادتي مغني
معانق قيثارتني ،
فؤادي المطعون بالسهام الخمسة
صندوق سري ،
خزنة المتاع ، روضتي وقبري
أزرع فيها جثثي ، خلعتها في زمني المفقود
أدفنها في صدرها المفقود
أزورها في خلوة الوجد ، إذا داهمني المساء
بدون أن أعد له
زاداً من الحشيش والنساء

أكشف عنها الكفنا
أقيمها ، أنيمها ممدودةً ، أطردها عنها الوسنا
أنظر في عيونها الماسية البكاء
ثم أولتي هارباً للكأس والبكاء



وهذه الجثث :
الجثة الأولى لطفل جائع فقير
دفنتها منذ زمان موغل في البعد والعتامة
بكيته حينما دفنتها
بكيته وانكسرت وانعصرت
بكيته وانتسخت
بكيته حتى كدت أن أنحلّ كالغبار ،
أو أذوب كالغمامه

عيني عليها ، سادتي الفرسان
(فجاءةً نمت على أكتافها رأسان)

فواحد ، ملتحم العينين ، للأمام ترنوان
وآخر تمتد عيناه بلا أجفان
ناثمة الحدقة في قفاه
كأنه ثعبان



معذرة ، نختصر الكلام
فالجثث الكثيرة التي دفنتها عاماً وراء عام
تريد أن تنام

« أسقيكم الخمر والأفيون
فلا تضجوا أيها الطيبون
أسقيكم البكاء والأنين
ناموا على محاجري
يا أيها الموتى الأعزاء ،
ويا دراري العيون
ماذا تقولون وتشغبون ؟

ماذا تحدّثون ؟
يا أيها الموتى المعذبون

أنتِ ، ألم أدفنك منذ عام
أيتها الجثة الغريبه ؟
نزلت للزمانِ خَلقةً عجيبه
طويلة الساقين ، دون رُكْبِه
واسعة الشدقين

كأن ضحكاً فاتراً يلتف كالطحلب في الفكين
لكننا ، وا أسفا ، مطفأة العينين

يا جثة المهرج القديم
نامي ، أيا طففتي التي حييت في ثيابها
عاماً وراء عام
نامي على فراشك الغبار
ولتقضي رغيفك القفار

وأنت يا جامدة الأحداق كالنجوم
يسيل من أشداقك الكلام أبيضاً ومُملِحاً
كالزبد المسموم
أنت ألم أدفنك أمس
(كانت لكهل أشيب حكيم
ومات إذ ساموه أن يغترف الحكمة بالمقلوب
إذ أنها تدحرجت من ساقه ، لبطنه ،
لرأسه ، كالخوف ، كالعطن)

نامي ، أيا صديقتي المعذبة
بدائك الأليم
واستفرغي حكمتهم في ثوبك القديم

استطراد آخر

قصير قد يكون نافعاً

« وموقفي يا سادتي في آخر المر
أربعة نحن من الصحاب
مهرج البلاط ، والمؤرخ الرسمي ، والعراف ، والمغني
وكلنا بدون أسماء ولا سيوف
وكلنا مؤجر بالقطعه
ونستعير ثوبنا المذهب الأطراف
من خزنة السلطان
وبيننا صداقة عميقة ، كالفجوه

عود الى ما جرمه ذلك المساء

في ذلك المساء
يا سادتي الأماجد ، الأشاوس ،
الأحامد ، الأحاسن
يا زينة المدائن
يا أنجم الساري ،
مفرقين في البلاط تزدادون روعة وحسنا

فإن تجمعتن ،
فنور كل كوكب يخامر النور الذي يبثه رفيقه
ولا يدوب فيه

(أقولها صدقاً ، ولا أزيد فيه)

الله ما أعظمكم ، وما أرقمكم ، وما
أنبلكم ، وما أشجعكم ، وما
أخبركم بالخييل والطعان والضراب والكهائن
والفتح والتعمير والتدمير والتحبير والتسطير
والتفكير والتخريب والتجريب والتدريب والألحان
والأوزان والألوان والبناء والغناء والنساء
والشراء والكرء والعلوم والفنون واللغات
والسمات ...
وباختصار

أنتم هدية السماء للتراب الآدمي ،
نحن حفنة الأموات
وشارة على اقتدار الله أن يخلق أمثالاً من الفنانين
ليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم في عشرين «

أقولها صدقاً ، ولا أزيد فيه
أقسم بالموتى الذين يخبشون تحت جلدي



في ذلك المساء
كنت حزينا مرهقا في ذلك المساء
لعلكم لا تعرفون الحزن يا سادتي الفرسان
(وإن عرفتموه ، فهو ليس حزني)
حزني لا تطفئه الخمر ولا المياه
حزني لا تطرده الصلاة
قافلة موسوقة بالموت في الغرار ،
والأشباح في الجرار ، والندم
عليّ وحدي أن أقودها إذا دعى النفير
نفير نصف الليل
أهوى بها ممزقا على أخلافِ نُوقِها
إلى مغاور النسيان والعدم

قافلة موسوقة بالموت والنشور
عليّ وحدي أن أجرها من كهفها المقبور
أقودها ثانية على حبال الشمس
حتى أوافي غدها المقدور



حزني لا يفنى ولا يستحدث



وقلتمُ : يا أيها المعني غننا
مسمل العينين في حضرتنا
لحناً يثير زهونا
ويذكر انتصارنا
(إذا تحين ساعة موعودة ، تغيم في أشراطها
لم تتخلع عن غيمها إلا لنا
الساعة التي تصير فيها خوذة الشيطان
كأساً لخمير سيد الفرسان)

غنيت ، كان في قرار اللحن
ما لم أجد كتمانه من وحشة وحزن
وقام منكم سيد ، لعله ساقى الحرس
(لأنه بمشي وكفاه إلى الأمام)
وشدني من أذني بهمسه المبحوح
أكتم عنك أم أبوح ؟
أكتم عنك أم أبوح ؟

وارتعدت موتاي في داخلي المكسور يا سادتي الأجداد
وانشك من ساقى إلى حنجرتي عظامي المدببه
وحلقت الخوف على فضاء ما ترى عيوني المنسكبه
وربما سألته لأنه اتسكا ومال فوق بعضه ، وزاد :

« وشت بك الأنغام ، أيها الغلام
(سني تقارب الخسين ، ربما يكون هذا اللفظ شارة الوداد)
في صوتك الخفي رنة منشرخه »

مشبوهة القصد ، غريبة المرام
كان شكاً ساخراً كالجنة المنتفخة
يطفو ويهوي في مدى لهاتك المسلخه



بعد قليل من زمان
طردت من بلاط القصر يا سادتي الفرسان
صرت ابن سبيل ، جائعاً مهان



حق أتت خيول عصابة الشيطان
إذا بكم تمضون كالنعامة المجنحة
وأسفاً قلوبكم مسافحه

اعتراف تأخر عن أوانه

كنت أحس سادتي الفرسان
انكمو أكفان
وكان هذا سرّ حزني ..

كلمة قصيرة

أصبحنا مثل الطين بقاع البشر
لا يملك أن يتأمل صفحة وجهه

رسائل من الماضي

أرى عيني ما لم تبصراه
كلانا عالم بالزلمات

« أصدق بيت قالته العرب »

وأعجب مني كيف أخدع عامداً
على أنني من أعلم الناس بالناس

« أصدق نصف بيت قالته العرب »

مذكرات رجل مجهول

- ١ -

أصحو أحياناً لا أدري لي اسماً ،
أو وطناً ، أو أهلاً
أتمهل في باب الحجرة حتى يدركني وجداني
فيثيب إليّ بداهة عرفاني
متمهلاً في رأسي ، تهوي في أطرافي ثقلاً
تلقي مرساها في قلبي ...
هذا يوم مكرور من أيامي
يوم مكرور من أيام العالم

تلقيني فيه أبواب في أبواب
ويغللني عرقي ثوباً نسجته الشمس الملتهبه
ثوباً من إعياء وعذاب
وأعود إلى بيتي مقهوراً
لا أدري لي اسماً ،
أو وطناً ،
أو أهلاً

- ٢ -

هذا يوم تافه
مزقناه إرباً إرباً
ورميناه للساعات

هذا يوم كاذب
قابلنا فيه بضعة أخبارٍ أشتاتٍ لقطاعٍ
فاعتأها بالمأوى والأقوات

وولدنا فيه كذبا شخصيا ،
نَمَيَّنَاهُ حَقِي أَضْحَى
أخباراً تعدو في الطرقات

هذا يوم خوَّان
سألونا قبل الصبح عن الحق الضائع
فنكرناهُ وجحدناهُ
وتمسينا في الحانات
ودفعنا أجرة رشوتنا ، ثمن فطانتنا الصفراء
بين ضجيج الكاسات

هذا يوم بعناه للموت اليومي
بجياة زائفة صلده
وفرحنا أننا ساومناهُ
وخدعناه ، ومكسناه

ما أحسن أنا علقنا هذا اليوم الغاربَ ...
في منحدر الشمس

فهوت ببقاياها

- ٣ -

الأرض بغيّ طامث
دمها يجمد في فخذها السوداءوين
لا يُطهرُها حَمْلٌ أو غُسلٌ
من ضاجعها ملمون

الأبنية المرصوفة في وجه المارين سجون
سجانوها الحيطان وقرب الإنسان من الإنسان
سجناً أبدياً ... يا مسجون
والأيام الأشراك
من تحت 'ملاءتها أخفتها عنا مائدة الإفطار
في الشارع غطتها أوراق الأشجار

علبُ التبغ الملقاة ، وأوراق الصحف المزوقه
والبسةُ في عين الجار
فاسقط يا مطعون

- ٤ -

الحمد لنعمته من أعطانا هذا الليل
صمتُ الأشياء وسادتنا
والظلمة فوق مناكبنا
ستر وغطاء

الحمد لنعمته من أعطانا الوحده
لنعود إليها حين يموت اليوم الغارب
ونلم الأشلاء

الحمد لنعمته من أعطانا ألا نختار
رسم الأقدار

فلو اخترنا لاخترنا أخطاء أكبر
وحياة أقسى وأمر
وقتلنا أنفسنا ندما
ثم الحرية ... ما دمنا أحرار

- ٥ -

يا هذا المفتون البسام الداعي للبسات
نبثني ، ماذا أفعل
فأنا أتوسل بك
هل أغمس عيني في قمر الليل
أم أقتات الأعشاب المرة والورقا
أم أفتح بابي للأشباح ،
وأدعوها ، وأطاعِها
وأقدمها للألواح الممدودة حول خواني
وأقوم خطيباً فيهم ...
أحبابي ..! إخواني !

أم أبكي حين يحن الليل ،
وأغفو دمعي في فودي
أم أضحك في مرآتي وحدي
إن كنت حكيماً نبئني كيف أُجِنُّ
لأحسّ بنبض الكون المجنون
لا أطلب عندئذ فيه العقل

- ٦ -

ها قد سلمت لكم ... قد سلمت
ضاعت بسماي
لم تنفعني فلسفتي ،
سلمت
كُسِرَت راياتي
عجزتُ عن عوني معرفتي
سلمت
وشجاعاً كنت لكي أنضو

عن نفسي ثوب الزهو المزعوم
وشجاعاً كنت لكي أتهاوى عريانا
أثني ساقى ، أستصرخكم ...

هلا، تدعوني وحدي ؟

وكفاكم إني سلمت

أم تضعوني في لحدي ؟

... ..

كونكم مشنوم

كونكم مشنوم

انتظار الليل والنهار

وهكذا مات النهار
ومال جنب الشمس ، واستدار
ثم تساقط المساء فوقنا ،
مثل جدار خرب ، وانهار
واعتنقت صحيفة السماء والغبراء ،
لطحنا الجبين بالغبار
وانطفأت نوافذ المرضى ، وأنوار الجسور
أعين الحراس والمآذن
تكوّمت حوائط الظلمة في مداخل البيوتِ والمخازن
فانكفات كئيبهـ مرصوةـ ، كأنها مدافن

منهارة على بقايا جبل منهار



في آخر المساء شعشت سحابة بنور
سحابة "ناحلة رقيقة"

وأومضت حمراء حمرة الزهور
سوية ، وانطفأت في عتمة الأفق
واندفع النهار

(يا حمرة الغسق)

يا لون عمري الذي ودعته حقيقة ...
وعشته تذكرك

أضاعك الليل كما أضاعك النهار)



وهكذا مات المساء

حين تقلبت على ضلوعها الشمس ،

وهبت تعتلي السماء

تنفست شوارع المدينة الرعناء
أصوات ضجّةٍ بلا إيقاع
وانسكبت مجامر الشعاع
تور في العيون ، تكشف الظلال ،
تثقب الحجر

أواه يا نور الضحى ،
ملأت قلبي فزَعاً وترحاً
لأنني رأيت فوق ما أردت أن أرى
بوركتِ وقنّدةَ الظهيرة
النورُ يجلدُ العيونَ ، تعشى ، لا ترى
من البيوت والبشر
سوى مُكعباتِ لونٍ وحجر



في آخر اليوم تدب في عروق الشمس فترة الملل
ويولد اللون الرمادي الرقيق
حقى ضجيج الطرقات

ينحلُّ إيقاعاً رمادياً رقيقاً
(كلون أيامي التي ما استطعت أن أعيشها حياة ...
فعمشتها تأملاً)



سويعة ، ويهبط السوادُ حين ينقضي الأصيل
فالشمس ألفت نظرة الوداع
واتكأت مرهقةً على التلال



وهكذا تمضي الحياة بي ،
أعيش في انتظار

هل ...

لحظةٌ مشرقةٌ في ظلمات الليلُ
أو ... لحظةٌ هادئةٌ في غمرة النهار

مرئیتان

١ - مـرئـيـة رـجـل تـافـه

مضت حياته .. كما مضت
ذليلاً موطأه
كأنها تراب مقبره
وكان موته الغريب باهتاً مباغتاً
منتظراً ، مفاجأه
(الميـتة المـكـرره)

كان بلا أهل ، بلا صحاب
فلم يشارك صاحباً حين الصبا لهو الصبا
ليحفظ الوداد في الشباب

كان وحيداً نازفاً كعابر السحاب
وشائعاً كما الذباب

و كنت أعرفه

أراه كلما رسا بي الصباح في بحيرة العذاب
أجمع في الجراب

بضع لقيات تناثرت على شطوطها التراب

ألقي بها الصبيان للدجاج والكلاب

و كنت أن تركت لقمة أنفت أن ألمها

يلقطها ، يمسحها في كمه ،

يبوسها ، يأكلها

« في عالم كالعالم الذي نعيش فيه

تعشى عيون التافهين عن وساخة الطعام والشراب »

وتسألونني : أكان صاحبي ؟

وكيف صحبة تقوم بين راحلين

إذن لماذا حينما نعا الناعي إلي نعيه

بکیتہ
وزارنی حزنی الغریب لیلین
ثم رثیتہ

٢ - مرثية رجل عظيم

كان يريد أن يرى النظام في الفوضى ،
وأن يرى الجمال في النظام

وكان نادر الكلام
كأنه يبصر بين كل لفظتين
اكذوبةً ممتة يخاف أن يبعثها كلامه
ناشرة الفودين ، مرخاة الزمام

وكان في المساطيل صحبة النجوم
ليبصر الخيط الذي يلمها
مختبئاً خلف الغيوم

ثم ينادي الله قبل أن ينام :
الله ، هب لي المقلة التي ترى
خلف تشتت الشكول والصور
تغييرِ الألوان والظلال
خلف اشتباه الوهم والمجاز والخيال
وخلف ما تسدله الشمس على الدنيا ...
وما ينسجه القمر
حقائق الأشياء والأحوال

وتسألونني : أكان صاحبي
هل صحبةٌ تقوم بين سيد عظيم
وخادمٍ محتملٍ ؟

زيارة الطوتمة

زرنا موتانا في يوم العيد
وقرأنا فاتحة القرآن ، وللمنا أهداب الذكرى
وبسطنهاها في حوض المقبرة الريفية
وجلسنا ، كسرنا خبزاً وشجوناً
وتساقينا دمعاً وأنينا
وتصافحنا ،
وتواعدنا ، وذوي قربانا
أن نلقى موتانا
في يوم العيد القادم

يا موتانا

كانت أطيافكم تأتينا عبر حقول القمح الممتده
ما بين تلال القرية حيث ينام الموتى
والبيتِ الواطئ في سفح الأجران
كانت نسباتُ الليل تعيركم ريشا سحريا
موعدمكم كنا نترقبه في شوق هدهده الاطمئنان
حين الأصوات تموت ،

ويحمد ظل المصباح الزيتي على الجدران
سنشم طراوة أنفاسكم حول الموقد
وسنسمع طقطقة الاصوات كمشي ملاك وسانان
هل جئتم تأتنسون بنا . ؟

هل نعطيكم طرفاً من مرقدنا ؟

هل ندفئكم فينا من برد الليل ؟

تندفأ فيكم من خوف الوحده

حتى يدنو ضوء الفجر ، ويعلو الديكُ سقوف البلده
فنقول لكم في صوتٍ مختلج بالعرفان

عودوا يا موتانا
سندبر في منحنيات الساعات هنيهات
نلقاكم فيها ، قد لا تُشبعُ جوعاً ، أو تروي ظمأً
لكن لقمٌ من تذكاري ،
حي نلقاكم في ليل آت

●
مرت أيام يا موتانا ، مرت أعوام
يا شمسِ الحاضرة الجرداء الصلده
يا قاسية القلب الناري
لم أنضجت الأيام ذوائبنا بلهبك
حتى صرنا أحطاب محترقات
حتى جفّ الدمع النديان على خدّ الورقِ العطشان
حتى جفّ الدمع المستخفي في أغوار الأجنان

●
عفواً يا موتانا
أصبحنا لا نلقاكم إلا يوم العيد

لما أدركتم أننا صرنا أخطاباً في صخر الشارع ملقاة
أصبحتم لا تأتون إلينا رغم الحب الظمان
قد نذكركم مرات عبر العام ...
كما نذكركم حلاً لم يتمهل في العين
لكن ضجيج الحاضرة الصخرية
لا يسمعنا حتى أن نقرأ فاتحة القرآن
أو نطبع أوجهكم في أنفسنا ، ونلمّ ملاحم
ونخبسها طي الجفن



يا موتانا
ذكراكم قوت القلب
في أيام عزت فيها الأقوات
لا تنسونا .. حتى نلقاكم
لا تنسونا .. حتى نلقاكم

حديث في مقهى

أتحول عن ركني في باب المقهى حين تدامني الشمس
أتحول عن شبكي حين يدامني برد الليل
أتبسم أحيانا من أسناني
أتشهد أحيانا من شفتي
أحلم في نومي حلما يتكرر كل مساء
أتدلى فيه معقوداً من وسطي في جبل
ممدوداً في وجه ركام الأبنية السوداء
أسمع طلقاً نارياً ، يتأوج حولي مثل ذبابه
يهوي جسمي المجروح
ويرفر فر حيناً ،

ثم يفوص بطيئاً في جوف الكون المفتوح
أخشى عندئذ أن أوخذ عنوَه
حين أمس تراب الأرض الرخوه
لأفرغَ من أمعائي ، وأعلق في متحف
فأظل أرفرف ...

تعصر قلبي الوحدة في ساعات العصر المبطنة الخطوات
تبدو الدنيا من شباكي
ميتةٌ مُسجاةٌ
باهتة اللون مكتئمة الأصوات
أمضي عندئذ ، أتسكع في الطرقات
أتتبع أجساد النسوة
أتخيل هذا الردف يفارق موضعه ويسير على شقيه
حتى يتعلق في هذا الظهر
أو هذا النهدي يطير ليعلو هذا الخصر
(وأعيد بناء الكون)
لا يمضي زمن حتى تتمدد أجنحة الظلمه

تتكوم عندئذ في عيني المرثيات
تتقارب فيها الأجسام وتتلاصق
تتواجه تتعانق
تندمج وتهوي في الأفق المغلق
تبدو كتلٌ أخرى من أركان نائية جهمه
تتكورُ أجساماً
تتكسرُ جسماً جسماً ، تتشكلُ هاماتٍ ،
قاماتٍ ، أذرعةٍ ، أقداما
تتقدم نحوي حتى أخشى أن تصدمني
أتوقف لا أدري ماذا أفعل
فأعود إلى شباكي



أتردد أحياناً قرب الفجر على إحدى الحانات المشبوهه
أشرب كأسين
ألقي بالثالث والرابع خلفي خلفه
لا تلمحني عين

وأقدم نفسي للساقي المصبوغ الفودين

اسمي : احيا بأسمين

اسم يعرفه أهلي

واسم لا يعرفه إلا أتباعي وعشيقاتي

تغمز لي عينا الساقي ، ويشير بأصبعه المبتل

لامرأة صامتهٍ ملقاةٍ في قاع الحانه

فتهبُ لأتبعها مرتعداً الساقين

لكننا نتفرقُ خلفَ البابِ المغلقِ



- هل فاجأتك بحديثي ؟

..... -

- إنصاتك كان كريماً منك ؟

..... -

- لكفي لست غريباً عنك

لست غريباً عنك

حبيبي أطفأ المصباح ،
وانطفأت مرارته على بدني
وأيقظ حزنه ، وأراق من عينيه في وَسْئِي ،
فأيقظني

ومد جناحه المحطوم من حولي
وعانقني
ووشوش صوته المنغوم في أذني
يؤرجحني
على أغصان دمعته التي امتزجت ، وفرحته
وحين أصاب من نفسي الذي يبغيه ،

أطلقني

وأغفى في جوارى ، والمساء يلم طرحته

لتولد في الصباح مرارة "أخري

وتولد ،

شهوة " في الليل ، تدفع صدرَ محبوبي

ليطفأها على بدني

رقياً

في كل مساء ؛

حين تدق الساعة نصف الليل ،

وتذوي الأصوات

أتداخل في جلدي ، أتشرب أنفاسي

وأنادمُ ظلي فوق الحائط

أتجوّل في تاريخي ، أتنزّه في تذكاراتي

أتحد بجسمي المتفتت في أجزاء اليوم الميت

تستيقظ أيامي المدفونة في جسمي المتفتت

أتشابهك طفلاً وصبياً وحكيماً محزوناً

يتآلف ضحكي وبكائي مثل قرار وجواب

أجدلُ حَبِلا من زهوي وضياعي
لأعلِّقَه في سقف الليل الأزرق
أتسلقه حتى أتمدد في وجه قباب المدن الصخرية
أتعانق والدنيا في منتصف الليل



حين تدق الساعة دقتها الأولى
تبدأ رحلتي الليلية
أتحير ركناً من أركان الأرض الستة
كي أنفذَ منه غريباً مجهولاً
يتكشَّفُ وجهي ، وتسيل غضون جيبني
تتاوج فيه عينان معذبتان مساحتان
يتحول جسمي دُخاناً ونداوه
ترقد أعضائي في ظل نجوم الليل الوهاجة والمنطفأه
تتأكلها الظلمة والأنداء ، لتنحلَّ صفاءً وهيولى
أتمزق ريحاً طيبة تحمل حبات الخصب المختبئه
تخفيها تحت سراويل العشاق ،

وفي أذرعة الأغصان
أنفتت أحياناً موسيقى سحرية
هائلة في أنحاء الوديان
أتحول حين يتم تماهي - زَمنا
تتنقل في نجوم الليل
تتجول دقات الساعات



كل صباح ، يفتح باب الكون الشرقي
وتخرج منه الشمس الذهبية
وتدوب أعضاءي ، ثم تجمدها
تلقي نوراً يكشف عُريي
تتخلع عن عورتى النجمات
أجمعُ فأراً ، أهوي من عليائي ،
إذا تنقطعُ حبالى الليلية
يلقي بي في مخزن عاديات
كي أتأمل بعيونٍ مرتبكه
من تحت الأرفف أقدامَ المارةِ في الطرقات ..

الشمس والمرأة

كانت تتامل في ضجعتها ،
شمسٌ غاربةٌ ،
تفصدُ نوراً مكتوماً ،
تتمزق في منحنيات الظل
وتهوي أشلاءً

كانت تتامل في ضجعتها ،
تحفي بضع خطوط في ساقها ،
تتمدّدُ زرقاءً
عيناها تنطفئان وتشتعلان
هدباها يرتحيان ويرتعدان

تتذاكر عهداً ذهبياً ،
قضته في صحبة رجل مجنونٍ ،
لا يتورع أن يضحجها فوق العشبِ
ويلقم نهديا حتى تبكي إعياءَ



هبطت عن مضجعها لما جاء الليل ،
بلت شيخوختها في ماء البحر ،
أغفت حتى تولد في الصبح الداني ، عذراء



هزت نهديا المطوطين
بحث بينها عن مفتاح الغرفة
نظرت تتلمس خطوطها في الرمل ،
وقامت مرهقة شمطاء
أخذت من أول دكان
ما يكفيها من خبز ونبيذ ودخان

ذهبت كي ترقد في ماضيها ،
تنشئه إنشاءً



الصبح يشد ذؤابات الشمس العذراءِ
وُيفرشها الحصباءَ



كانت تتبسّم ميتةً ،
ويداها في نهديها ،
فمها يتحلّب ماءً

يا نجمي .. يا نجمي الأوحده

ها أنت هنا ، أشرقت على موعد
يا نجمي ، يا نجمي ، الأوحده
يا فرحي ، يا عمري الأسعد
وأنا أخطو نحو الدار
قلبي المشبوب ، وقد أغفت
في صدري باقة أزهار
وسنجلس في الركن النائي .. قطين أليفين
مقرورين
نتحسس ما أبقت أيامُ الذل على وجهي المكدود
وعلى خديك من الألم الممدود

يا نجمي ، يا نجمي الأوحده

ما زلنا - ما زال العالم

ما زال كثيباً ، ما زال

وأنا أصعد

وأدق على صدرِ الباب

ويجيبُ الصوتُ المجهود

« إن كنت صديقا فتقدم »

وأقول « سلاماً »

وأنا لا أملك من دنياي سوى لفظ سلام

وجلسنا في الركن النائي ...

نحكي ما قد صنعته الأيام

ونما في قلبينا مرح مغلول الأقدام

مرح خلاب كالأحلام

وقصير العمر

هل يضحك يا نجمي - إنسان مقصوم الظهر

يا نجمي ...

فلنتناجى ،

ولنتحسس ما أبقت أيام الذل

ولأن الأيام مريضه

ولأن الليل الموحش يولد فيه الرعب

تعتل كلمات الحب

يا نجمي ، يا نجمي الأوحده

ما يصنع قزمان التقيا في ظل مساء ؟

منهوكين

وعليلين

نظرا في استحياء

عرفا الأيام المروره

وأنين النفس المكسوره

وسعار الدّم المذنب حين يحن إلى الدم

لفحت أيام الرعب رواءهما حتى شاهما

وذوى في عينها زهو الفطنه

عربيا من بزّة هذا العصر المشهود
صَفْرًا ، صَفْرًا ، حتى دَقًا
حتى صارا قزمين
مقرورين

ثم التقيا في ظل مساء
في قلب العاجز ماذا يُلقى العاجز
ماذا يَهَبُ العُريَانُ إلى العريان
إِلَّا الكلمه
والجلسة في الركن النائي ،

قزمين ودودين

صَفْرًا ، صَفْرًا ، حتى دقا
في قلب العاجز ماذا يُلقى العاجز إلا الحب المعتل
مَسَحَتِ صدر الشباك أصابع ريح شرقيه
وتوهج قلبانا من شيء يولد في الظلمه
فتلاصقنا
وتعانقنا

ثم خبا ، لم ندرك شيئاً
وتهدل كفانا ، أغضت
عينانا ، أذرفنا دمعته
يا أيتها الريح .. الريح الشرقية
يا .. يا وهج الدفء
عودا ! أوصدنا بابينا
وعرفنا أننا قزمان
مقروران

من خير كما لم ندرك شيئاً
وداعاً يا نجمي الأوحده
ولأن الأيام مريضه
ولأن الليل الموحش يولدُ فيه الرعب
لن نجني .. حتى الحب

قولي .. أماتُ
جسِّيهِ .. جسي وجنتيه
هذا البريق
ما زال ومضُ منه يفرش مقلتيه
هذي أصابعه النحيله
هذي جدائله الطويله
أنفاسه المتردداتُ بصدره الوردى كالنغم الأخير
من عازف وقد النعاس عليه في الليل الأخير
وتلك جبهته النبيله
بيضاء يلمع فوق موجتها الزبد

قولي .. أمات
وأنا غدوت بلا أحد



وسألتني .. ما الوقت ، هل دلف المساء ؟
- أتذهبين ؟

ولمَ نطيلُ عذابَه حتى الصباح
لن يرجعَ الصبحَ الحياةَ اليه ،

ما جدوى الصباح ؟



ومَضَ الشعاعُ بعينه الهدباء ومضته الأخيره
ثم احترق

ورأيت شيئاً من تراب الوجدتين

رباه : فوق الصدر ، فوق الساعدين

والعازف المغلوب نام ، ومات في الصمت الكبير

نعمٌ أخير



وسألت .. مات . ؟ أجل سأبكيه ،

سنبكيه معاً

ووجعت ، لا الجفن اختلج

ونهدت ، ثم فتحت هذا الباب في صمت ملول

ونظرت خلف الباب تلتمسين سلّمة النزول

ووقفت ، ثم رجعت في عينيك شيء من وهج

كي تلمسيه

أو تغمضي عينيه أو تتأمليه

لا تلمسيه !

هذا الصبي ابن السنين الداميات العاريات من الفرح

هو فرحتي ،

لا تلمسيه !

أسكنته صدري فنام

وسدته قلبي الكسير

وسقيتُ مدفنه دمي

وجعلتُ حائطه الضلوع

وأنت من 'هدبي الشموع'
ليزوره عمري الظمي ...

الهلّم ... والإغنية

مرثية لعبد الناصر

لا ، لم يمّت ...
وتظلُّ أشتاتُ الحديثِ ممزقاتٍ في الضمائرِ
غافياتٍ في السكينةِ
حتى تصير لها من الأحزانِ أجنحةٌ ،
تطير بها كلاماً مرهقاً ، يمضي ليلقُفهُ الهواءُ
يرده لترن في جدرانهِ دور مدينة الموت الحزينه
أصوات أهلِها الذين بنت بهم سرُّرُ البكاء
يتجمعون على موائد السهر الفقيرِ ، معذبين
ومطرقين

الدمع سقيام ، وخبزمُ التأوه والأنين
يلقون - بين الدمعتين - زفير أسئلة ،
'تخشخش مثل أوراق الخريف الذابلات'
هل مات من وهب الحياة حياته
حقاً أمات ؟
ماذا سنفعل بعده ؟
ماذا سنفعل دونه ؟
حقاً أمات ؟

تتجمع الكلمات حول اسم سرى كالنبض في شريانهم ،
عشرين عاما
كان الملاذ لهم من الليل البهيم
وكان تعويد السقيم
وكان 'حلم مضاجع المرضى ، وأغنية المسافر في
الظلام
وكان مفتاح المدينة للفقير ، يذوده حرس المدينة

عن جماها

وكان موسم نيلها ،
يأتي فينثر ألف خيط من خيوط الخصب تورق في رباها
وكان من يحلو بذكر فعاله في كل ليله
للمرهقين النائين بنصف ثوب ، نصف بطن
سمّر المودة والتغني والتمني والكلام

والآن أصبح كل لفظ خنجرا ، ولكل أمنية عذاب
هل مات ، واحزناه
آه لو يعود لبرهة ، ويحيل نظرته ،
ويكشف عن غد بعض الضباب
أواه ، لكن كيف آب إلى التراب ؛
ولم يحن وقت الإياب
القول يرهقنا ،
لنصمت ،

علّ في الصمت التأس والسلام

فالصمت أجمل ما يكون إذا غدت 'سبيل' الكلام
تفضي إلى نار المواجد أو إلى ماء السراب
وتقودنا الذكرى الصموت إلى عميق نفوسنا الملائى ،
وتختلج الظلال

ونهم في كنا وكان
ويعود ذيبك الزمان
ونروح في استرخاءة الموجوع ننشر عمرنا في ظله
يوماً فيوما

الصفحة الأولى ، ..
وكان مجيئه وعداً من الآجالِ ،
لا يُوفى لمصر ألف عام
والليل ممدود السرادق فوقنا 'ظلماً وظلماً'
والثورة الكبرى توهم واهم ورؤى خيال
حق طلعت ، طلعتا ، الثورة الكبرى ، وأنت
كأن مصر الأم كانت قد غفت ،
كي تستعيد شبابها ورؤى صباها

و كأنها كانت قد احترقت ..
لتَطْهَرُ ثم تولدَ من جديد في اللهب
وخرجت أنت شرارة التاريخ من أحشائها
لتعود تُشعِلُ كل شيء من لظاها

ونعيش في أيامنا الملى بصوتك منشداً لغة رخيمة
كي يوقظ الموتى من الأجداد ،
يبعث من ركام العالم المدفون أطيف انتصارات
قديمه
لتعود لـلوادي ، وتبعثَ في ثرى مصر الجديده
والعظيمه

ونعيش مع أيامنا الملى بيومك واسعاً كالأمنيات ،
وضيقاً بالصخر والشوك المدمى والرماد
أيامنا الملى بأصداء انتصارك ...
سهماً المسنون جاز مداه منتصراً وعاد

أيامنا الملقى بأوجاع انكسارك
أحدٌ. وبدر شارتان على رداء محمدٍ ، عاش الجهاد
لا، لم نكن نحيا كما يحيون أياماً نُقضّتها إلى يوم المعاد
بل كان ما نحياه تاريخاً كأروع ما تكون ملاحم التاريخ
ساح ترن بها أغاني المجد مُرْعِدَةً ، وحممة الجياد

ونعيش في أيامنا الملقى بوقع خطاك في الوادي الأمين
إذ كنت فرحتنا الكبيرة، حين تمسك بي يديك الحلم،
تنثر منه فوق أسرّة الأطفال والمستضعفين
أو في نواحي بيت مصر على رؤوس شبابه المتجمعين
إذ كنت تجعلهم يمدون الرقاب وتشرئب عيونهم
نحو السماء

وتمدُّ جبل الأمنيات لكي يصيد الشمس من عليائها
حتى لنطمح أن نُقسّم نورها قطعاً على أحبائنا
ونعيد ما طمر الزمان ، وأخلفت عدة السنين

ونعيش في أيامنا الملامى بصورتك التي عاشت على أهدابنا
عشرين عاما

نلقاك شاباً في رداء الحرب تنفخ في النفير
كي توقظ الأشلاء ، تجمع شمل مصر المسترقّة
كانت على مجرى الزمان تمزقت قطعاً
فطفت على مسارِ النيل تجمع مزقة في إثر مزقه
حتى نهضت ، نهضت ، ألقىتا التابوت في لُهب السعير
وعدتما في خير رفقه

نلقاك كهلاً أشيب الفودين في عمر النبوه
تعلي مواثيق الأخوه
وتضم في عينيك توقّ النيل للأنهار ،
يلفظ أهلها بلغى العروبه
وتؤلف المدن القريبه
كانت قد اختلفت وغيرها الزمان ،
وأصبحت مدناً غريبه

نلقاك في الخمسين أكثر حكمة وأشد حزنًا
الأقرباء تباعدوا وتباغضوا ،
والنصر أخلف وعده ، والله يلهمنا الطريق ،
يشد أزر المؤمنين

الله ! يا هول السنين

المحنة الكبرى ، ووجهك غائب ، والليل يوغل
والشجون

هل مت؟ لا، بل عدت حين تجمع الشعب الكسير
وراء نعشك

إذ صاح بالإلهام :

مصر تعيش ... مصر تعيش ...

أنت إذن تعيش ، فأنت بعض من ثراها

بل قبضة منه تعود إليه ، تعطيه ويعطيها ارتعاشها

وخفقَ الروح يسري في بقايا تربها ، وذِمًا دِمَاها

مصر الولود نمتك ، ثم رعتك ، ثم استخلفتك على ذراها

ثم اصطفتك لحضنها ،

لتصيرَ أغنيةً ترفرف في سماها